Equipes Notre Dame
فرق السيّدة-لبنان

" رجلاً وامرأة خلقهم "

" خواطر مسيحيّة حول الشؤون الجنسيّة "

ترجمة الأب صبحي حموي اليسوعي

فِرَق السيّدة– الفرقة المسؤولة الدوليّة – أيّار ٢٠٠١

المقدمة:

١)- "ولذلك يترك الرجل أباه وأمّه." (تك ٢/٢٤): اللقاء يخلقنا.

٢)- "ويصيران جسدًا واحدًا." (تك ٢/٢٤): من الشَّأن الجسديّ إلى الشَّأن الروحيّ.

٣)- "رأى الله جميع ما صنعه، فإذا هو حسن جدًّا." (تك ١/٣١): جمال العمل الجنسيّ.

٤)- "إلى رجلِكِ تنقاد أشواقك، وهو يسودك." (تك ٣/١٦): نبني معًا حياة جنسيّة متناغمة.

٥)- "ما جمعه الله فلا يفرّقه الإنسان." (متى ١٩/٦): معًا للأبد، الأمانة.

٦)- "إنّ كلّ واحدٍ منّا سيؤدّي عن نفسه حسابًا لله." (روم ١٤/١٢): الضمير.

٧)- "انموا." (تك ١/٢٨): أثمروا، الخصب.

٨)- "مجّدوا الله بأجسادكم." (١ قور ٦/٢٠): جسدكم هو هيكل الروح القدس.

مصادر ومراجع

المقدمة

" الله محبّة، وهو يعيش في نفسه سرّ مشاركةِ حبٍّ شخصيّة، وحين خلق الله طبيعةَ الرجل والمرأة البشريّة على صورته وأراد أن يحفظها دائماً في الكيان، طبع فيها الدّعوة إلى الحبّ والمشاركة، وبالتالي طبع فيها القدرةِ والمسؤوليّة المناسبة. فالحبّ هو الدعوة الأساسيّة التي يُفطَر عليها كلّ كائن بشريّ." (يوحنّا بولس الثاني، الرسالة البابويّة في الجماعة العائليّة)

تلك الدعوة الأساسيّة نعيشها في العلاقة الزَّوجيّة، وكما قال البابا بولس السادس في معرض كلامه إلى فِرَقِ السيّدة في ٤ أيّار ١٩٧٠: "يشارك فيها الكائن كله، في أعماق سرّه الشخصيّ ومركّباته العاطفيّة والحسّيّة والجسديّة، إلى جانب مركّباته الروحيّة، إلى أن يشكّل دائماً وبوجه أفضل صورةَ الله التي من مهمّات الزَّوجَين تجسيدها على مرّ الأيام، ناسجين إيّاها من سّرائهما وضرّائهما. فالحبّ هو أكثر من الحبّ [...]. ولا يخفى على المسيحيّ أنّ الحبّ الإنسانيّ هو حسَنٌ من أصله. وإذا كان هذا الحبّ على غرار كلِّ ما في الإنسان، مجروحًا ومشوَّهًا بسبب الخطيئة، فإنه يجد في المسيح خلاصه وفداءه".

يندرج موضوع الدرس هذا في وجهة النظر الخلاصيّة هذه، فيَعرض على كلّ زَوجَين مسيحيَّين أن يعودا فيكتشفا بإعجابٍ أنَّ الله، منذ الأصل، قد وحّد في عمل واحد وفي وقت واحد، التعبيرَ عن حبّ الرجل والمرأة والقدرة على إعطاء الحياة. وهكذا يكون كلّ واحد منهما مدعوًّا إلى القبول بأن تستجوبه كلمة الله وكلمة الكنيسة لكي تساعداه على تهذيب ضميره حول هذه المسائل الدقيقة والجوهريّة إلى حد بعيد، من أجل تجاوز إشكاليّة ما هو جائز وما هو محرّم.

كتب الأب برنار أوليفييه في خاتمة موضوع الدرس الذي أنجزته فِرَق السيّدة خلال العامين ١٩٩١ و١٩٩٢ تحت عنوان "الإنجيل في الشؤون الجنسيّة"[١]: "مِن أكثر مهام الكنيسة إلحاحًا تكوينُ مسيحيِّين بالغين مسؤولين وقادرين على اتّخاذ القرارات بأنفسهم، في الاحترام التامّ للقِيَم الأخلاقيّة". وهذه المهمّة هي في صميم المنهجيّة التربويّة لحركة فرق السيدة.

يهدف موضوع الدرس هذا، الذي يقوم به الزَّوجَان والفرقة على مدى ٨ اجتماعات، إلى أن يكون تطبيقاً في هذا المجال الخاصِّ الحافل والحسّاس، ألا وهو الحبّ الزَّوجِيّ في جميع مركّباته، ولا سيّما في أهمّ

---

١ - "الإنجيل في الشؤون الجنسيّة": موضوع قامت بدرسه فرقة دوليّة ضمّت أعضاء من فرق السيّدة عكفوا على تجميع أجوبة ١١٠٠٠ عضو في الفرق من العالم أجمع، كانوا قد قبلوا درس هذا الموضوع بناء على اقتراح الحركة ضمن خطّ "النَّفَس الثاني" الذي أطلقته في لورد عام ١٩٨٨. وقد اتّسمت الأجوبة بالصراحة والصدق لأنّ السريّة كانت مؤمّنة.

أبعاده، أي الشؤون الجنسيّة. من الواضح أنّ ذلك كلّه يمرّ بالحوار بين الزَّوجَين، هذا الحوار الذي يمكن أن يتّخذ شكل "واجب مجالسة" لا يخلو من الثمار.

إنَّ التقدّم المقترح في السير هو الآتي:

الفصل ١ : اللقاء يخلقنا

الفصل ٢ : كلام الله يستجوبنا في شؤون الجنس

الفصل ٣ : جمال العمل الجنسيّ

الفصل ٤ : صعوبات الشؤون الجنسيّة

الفصل ٥ : الأمانة

الفصل ٧ : الخِصب

الفصل ٨ : تقديس الحبّ البشريّ

سنجد في كلّ فصل:

- شهادات
- عناصر تفكير
- مسائل للنقاش بين الزَّوجَين وفي الفرقة
- صلاة مأخوذة من نشيد الأناشيد أو من العهد الجديد
- نصّ أو عدّة نصوص للمرافقة

نشيد الأناشيد:

"نشيد حبّ في صيغة حوار. فيه صوتان رئيسيّان: صوت الرجل وصوت المرأة يختلطان بالتساوي للتعبير عن الرغبة، عن الشوق إلى الآخر والبحث الهائم عنه والإعجاب بجماله والتألّم من غيابه والفرح بالانتماء إليه ولحظات السعادة العابرة التي يجدها معه. ويتمّ في هذا النشيد استدعاء روائع الخليقة للتعبير عن قوّة الحبّ: من جمال النباتات، إلى ظل الأشجار، إلى أريج الزهور، إلى أطايب البساتين وحلاوة الثمر، إلى صفاء الينابيع العذبة، إلى بريق الأحجار الكريمة، إلى رشاقة الحيوانات ونشوة الخمر. النشيد كلّه يسبح في أجواء شهوانيّة. فهو يغمرنا في روعة الخليقة قبل الزلّة. وإذا بنا، على غرار آدم وحوّاء، في ضيافة الفردوس الأصليّ."

"مِن نشيد الحبّ الأمثل هذا كُتِبَت عدّةُ تفسيرات: المحبّة بين الله وشعبه وبين المسيح والكنيسة، وهما قراءتان صوفيّتان... علماً بأنّ القراءات المختلفة لا تستبعد بعضها بعضًا. على كلّ حال، يُظهر لنا

الكتاب المقدّس أنّه لا يخاف من التغنّي بالحبّ البشريّ ومن جعله لغةَ الوحي الإلهيّ السامية. وهذا يمنح الحبَّ بطريقة غير مباشرة كرامةً وقيمة عظيمة.فليس الحبّ والجنس أمورًا سيئة ولا مخجلة، بما أنّهما جديران بالكلام على الله وعلى مشروع محبّته للإنسان".

الفصل الأول

"لذلك يترك الرجل أباه وأمّه" (تك ٢/٢٤)

اللقاء يخلقنا

شهادات:

"البدايات: تحمّس واكتشاف وجِدّة وسهولة. جرعة أُكسجين أو انفجارٌ غازيّ في منجم! روعة تصحبها رغبة جنونيّة في الاتّحاد الجسديّ، وكأنّما هناك ورشة قائمة تشمل كلّ شيء: المهنة، المسؤوليّة، والحياة الزَّوجِيّة... ما من شيء أفضل من البدايات في الحبّ. ولكن، بعد ذلك، يبقى التكرار... مع الزوجِ نفسه".

"حين يكون الإنسان محبوبًا، يكون معترَفًا به من قبل الآخر. وهذا أمرٌ بالغ الأهميّة للقدرة على التقدّم وتحقيق الذات والثقة بالنفس.

"أذكر أنّي شعَرتُ بانقباضٍ خفيف في القلب، حين غادَرتُ والديّ، ولا سيّما إخوتي وأخواتي الصغار".

مواد للتفكير:

إنّ الكائن البشري يُحقّق مصيره عن طريق العلاقة. قال جون دون[٢]: "ما من أحدٍ جزيرةٌ تكتفي بنفسها، كلّ إنسان هو قطعة من قارّة وجزءٌ من الكلّ": فهو مديون لواحد ومسؤول عن آخر. ولا يستطيع الإنسان أن يعمل لنموّه الشخصيّ بدون مراعاة جاره. ولا يفترض الاستقلالُ الذاتيُّ تلك الفرديّةَ التي يقوم فيها كلُّ إنسانٍ وحده باختياره ولمصلحته الشخصيّ، بل القدرة على أن يكون مسؤولاً عن عمله، أمام نفسه أوّلاً، ولكن أمام الآخرين أيضًا. فالشخص البشريّ لا يستطيع أن يجد في نفسه معنى حياته، بل يحتاج إلى أن يغذّي رغبته في الحياة بأن يعترف به الآخرون ويقبلوا به. إنّنا ندخل في نسيج علاقات معقّدة ينطلق من لحظةِ وجودِنا الأولى في رحم الأم. لسنا وحدنا أبداً، وحتّى الشخص المنعزل لا يستطيع أن يعيش من دون اتّصال بالآخر، ولو في الحلم أو الذكرى أو الاستباق... علماً بأنّ ذلك الآخر، "الآتي من مكان آخر"، هو بالنسبة إلينا نحن المسيحيّين، ذلك الكائن الآخر كلّيًّا، أي الله نفسه.

---

[٢] - شاعر ميتافيزيقي انكليزي من القرن السابع عشر.

"أحبّك، لأنّي أحتاج إليك"

إنّ الرغبة في الحصول على اللذّة في لقاءِ الآخر هي أصلُ كلّ نزوةٍ جنسيّة، وهي تُلخَّص في هذه الجملة: "أحبُّك، لأنّي أحتاج إليك". هذه الرغبة هي التعبير عن حاجة حيويّة طبيعيّة، وعن الخوف من العزلة وعن إرادةِ سَدِّ النقص.

مَن التي أو الذي لا يذكر لقاءَه الغراميَّ الأول؟ وسواء أكان هذا اللقاء باهراً أو قد نضج ببطء، فإنّه قَلَبَ الأمور رأساً على عقب، وغيّرَ النظرات والحركات واهتزّ من جرّائه إيقاعُ الحياة نفسه. فالتي كانت لا تجد الراحة إلا في وسط المدينة الكبرى، أخذت تجد فجأة متّسعاً من الوقت لتتنزّه معه في الأحراش أو في رحلة إلى الجبل. والذي كان لا يستطيع أن يحرم نفسه من درّاجته الناريّة أو سيّارته، بات يقضي ليلته في القطار من دون سبب غير قضاء نهاره برفقة التي يعبدها. لا أهميّة لمعرفة من الذي خطا الخطوة الأولى أو لفظ الكلمة الأولى، إذ لا يبدو أنّ السعادة ينقصها أيّ شيء، لأنّ الأمور الباقية تختفي، ففي العطاء كما في الأخذ، أجد نفسي حرًّا (أو حرّة) بأن أثبت وجودي وأن أنمّي شخصيّتي. ها إنّي قد أصبحت أخيراً بالغاً (أو بالغة)، قد أصبحت بالتأكيد ما أنا.

في هذه المرحلة الأولى من اللقاء الغراميّ، لا يهمّ أن يعرفني الآخر أو لا يعرفني معرفة حقيقيّة ، بل ما هو جوهريّ في نظري هو أن تُعاد إليَّ أهمّيّتي من قبله. فأنا هو المُهِمّ. في القصة، تقول الضفدعة للأميرة: "لا أريد جواهر ولا ألماساً، بل يكفيني أن ترضي بي كما أنا". ولكنّ السعي وراء الاتّحاد بالذي (أو التي) نشعر بميل إليه (أو إليها) قد يصبح مُقلقاً. فمن هو الذي لم يقاسِ الآلام التي نشأت عن اللامبالاة والصمت والحسد والرفض؟ لا شكّ أنّه حين يلتقي رجل وامرأة، فقد يتخيّلان أحياناً، حتى ولو لم يكن واحدهما قد رأى الآخر من قبل، بأنّهما يعرفان بعضهما البعض منذ الأزل. ومع ذلك فإنّ الشوق الذي يحمل الواحد إلى الآخر يُحيلهما إلى نفسيهما بلا نهاية.

فالانجذاب الطبيعي لا يكفي لأن يطيل إلى ما لا نهاية إعجاب الهيام الأوّل، بالرغم من رغبة اللذين يعيشانه في أن يدوم إلى الأبد. ذلك لأنّ الوقت يحوّل الالتذاذ بالغرام، لا بل يأكله أحياناً، لأنّ الفوارق تبرز. إذا صحّ سبب خيبة أمل، لا نظراً فقط إلى ما نجده من فارق تشريحي في أجسامنا أو ما يبرز من نقط ضعف، ولكن لأن الآخر لا يعيش صراحة على الكوكب نفسه. هنا وفي الوقت الحاضر، نحن معاً في حالة جيّدة، ولكننا حين نتعمّق في معرفة الآخر، نكتشف الملامح التي توصلنا، من فوارق واختلافات: فإن الآخر لا يرى، بالنظرة نفسها، العالم والأحداث والمستقبل والسعادة.

تختلف حساسياتنا، لأننا لم نحصل على الطريقة التربوية نفسها. قد يستطيع آدم الخائب أن يقول: "ليست هذه عظماً من عظامي ولا لحماً من لحمي". فهل يبقى على خيبة أمله، أم يساعده الحبّ على أن يكتشف القدرة اللازمة ليخطو خطوة إلى الأمام؟ ذلك هو السؤال الأساسي الذي يُطرح في هذه المرحلة الأولى من اللقاء الغرامي. ما زلنا بُعداء من الاختيار المسؤول والقائم على الاعتراف أن الآخر هو غريب وعليّ منحه حقّ القيام باختياراته الخاصة وعلى أن يكون له حساسيته وأمياله الخاصة، وإدراكه الخاص للواقع، وحق الاختيار في العالم الذي يعيش فيه.

"كيف يمكنني أن أعرفك، بما أنك لست مثلي؟"

إن احترام الآخر في كل معنى الكلمة هو التحدي الذي ينتج من خيبة الأمل الأولى ويُطلق المرحلة الثانية. يقوم بعضهم بردّ فعل على كون الآخر مختلفاً، بالهرب مما يعتبرونه من أوهام الشباب الخطرة، واستبدال الشريك، ظناً منهم أنهم يكتشفون سرّ السعادة في السعي وراء لذة لا حدود لها. لكنهم يُنهَكون بطلب ازدهار شخصيتهم في التمتّع العابر.

إن "الأنا" لا بدّ من أن آخذها بعين الاعتبار، لأني كائن فريد تُبعدني قصتي الخاصة عن الذي أشعر بأني منجذب إليه بقلبي وحواسّي. هنا تقف كل علاقة غرامية، وهي علاقة سريعة العطب بوجه خاص بين جميع أشكال العلاقات البشرية، لأنها مليئة بالانفعالات.

إن الغيرية– كون الآخر هو آخر– أساس شؤون الجنس– تُبرز ذلك التوتّر الأليم الذي ينتج من عجز الإنسان عن سدّ الفارق الجذري بين الرجل والمرأة(أنا– أنت). فإن الرغبة في الانصهار يصطدم بالاعتراف بما للتناغم التام من طابع وهمي. إن الإنسان مستعدّ للعطاء بقدر ما يكافأ بالمقابل. حالما يخفّ سحر الحواس، لا يبقى إلا تلبية الحاجات الحيوية. وما هو مطلوب ليس هو الانفتاح وبذل النفس للآخر، بل أمان التتمّة للنقص: هنا، الآن وفوراً. وبالرغم من جاذبية التبادل الفاتنة، فإن الخوف من خسارة الحدود الفردية يحرّم تواطؤ الزَّوجَين العميق.

عندئذ يصبح الاتصال الغرامي ناقصاً: فإننا نشعر بالذي يحلّ في حياتنا، في آن واحد، بصفته مصدر لذة وعقبة تحول دون أماننا الباطني. ولكي تنمو العلاقة، يتوجّب على الذي يحبّ أن يقبل بأن يكون الكائن المحبوب مختلفاً عنه.

من جهة، أنا محبوب ولا أستطيع أن أعود إلى الوراء، ومن جهة أخرى، لست مستعداً لأن أربط للأبد مصيري بمصير الآخر، خوفاً من أن أخسر ما ظننت أني وجدته: الأمان ومجال حريّة.

"لا يمكنني أن أعمل كما لو لم تكن (تكوني) هنا"

إن الآخر، أي الكائن المحبوب، يستغيث بالمسؤولية. تهتمّ تربية الوالدين بإضفاء معنى على تلك الرغبة الجنسية، ونفسّر ذلك بأنها تعبّر عن العزم على تقاسم كل شيء، الكيان والعلاقة. في أيامنا، نرى أن تبدّل الأخلاق في المجتمع الذي يقبل التعدّد- حيث حُرِّرت الحياة الجنسية من القيود الطبيعية العائدة إلى الحياة الإنسانية- لم يعد يقبل صيغة علاقة الزَّوجَين التي يتحكّم فيها الواجب الأخلاقي أو الضمير غير المرتاح- لا بدّ من الانتقال من التضامن الفعلي القائم على العاطفة إلى تضامن يقدم على قرار أخلاقي يعبّر عنه التزام وأعمال حرة.

إن العشّاق الذين يعون المسافة التي تفصل بينهم، هم مستعدون لأن يقبلوا بعضهم بعضاً ويكشفوا عن أنفسهم ويرفعوا حجاب الأحرام. في أيامنا يكمن العائق الأكبر لتقارب العشّاق في عُجب الذي يثبّت شخصيته على حساب الآخر، ويظن أنه يهدي الآخر. وبتمثيله دور السامري الكاذب، بدل أن يجعل قيمته للآخر، يُخشى أن يحوّله إلى غرض يعكس له، على سبيل المرآة، صورته الشخصية. لا يجوز لكلّ من الزَّوجَين أن يُعجب بنفسه وبأوهامه، بل عليه، لكي يستطيع أن يتقدم، أن يُرخي قبضته ويقبل بلا خوف أن يخسر التسلّط على الآخر. فإن قريبي هو الذي يساعدني على أن أكون كما أرى نفسي. فبكل حرية يجب على كل واحد أن يرشد الآخر إلى الاستقلال الذاتي، وبذلك يحترم كلّ واحد فرادة الآخر ومواهبه وامتيازاته ونقاط ضعفه ونقائصه.

إن مسار العاشقين يثير فضول اكتشاف الحدائق السرّية المتبادلة. وحين ينقادان للمؤالفة على مثال ثعلب الأمير الصغير (سانت إكسوبيري)، يستطيعان أن يتخلّصا من خوف الاستغلال، ويكتسبان الجرأة على اقتحام مخاطر الأمور غير المنتظرة وغير المعروفة. ويمكنهما التخلي عن حماية الأقرباء ومغادرة بيت الوالدين، ليعيشا مع أبناء جيلهما ويبتهجا بغيرية الآخر، فإن فارقه لم يعد تهديداً، بل أصبح مصدر فضول وحنان. ويقبل كلّ واحد أن يسمح الآخر لنفسه بأن يستعمل صيغة المتكلّم المفرد. وبذلك فإن كلّ واحد، بفضل تدخّله وفي الحنان، يوصل الآخر إلى اكتشاف هويته الحقيقية، وذكورته أو أنوثته، وإلى إثبات نفسه في صراحة تلك الحميمية. قالت ماري بلماري (محلّلة نفسية):"إن الأنا يستيقظ بفضل الأنت".

لأن الرجل والمرأة أصبحا فاعلين مستقلّين،"يأكلان كلّ واحد، من دون حياء كاذب، رغيفه ويشرب كأسه"(خليل جبران)، متحمّلاً كلّ واحد ومحترماً الفوارق إلى ابعد حدّ، لم يعد تحالفهما يخضع لعوارض

الرغبة ومبادئ أخلاقية، سواء أكانت نتيجة تحمّل أو اختيار من قِبل المجتمع التكنولوجي الجّمعي الذي يُضفى عليه بصمة حتمية شديدة لا تقبل العطاء إلا بقدر ما يُعوّض بالمقابل.

"أحتاج إليك، لأني أحبك"

هذه هي مرحلة اللقاء الغرامي الأخيرة، وهي مرحلة الاستقلال الذاتي والتجرّد اللطيف والعطف المجرّد من المكافأة. فإن العاشقين، اللذين يتقدّمان في الدرب الذي اختاراه، يستطيعان أن ينقادا بثقة للدينامية التي لم يعودا يخافان أن تُفقدهما وضع يديهما على سرّها. فهما يستطيعان أخيراً أن يعرفا الواحد الآخر في الولع الغرامي. أي أن يولدا معاً في العناق ويتحرّرا من نفسيهما للذهاب معاً إلى المستقبل، متشابهين ومختلفين في آن واحد. إنه تحوّل إنجاز الشوق الذي يجعلنا نلمح المطلق:"لا يمكننا ان ندرك المطلق إلا بالحب، سواء أكان إلهيا أم بشرياً".

إن الحب المُعاش هكذا يمكّن الأنا من البروز. أستطيع أن أعيش وأن أتركك تعيش/ تعيشين، أستطيع أن أتمتع بالحواس، ولكنّي أترك لك مجالاً لكي تتكامل شخصيّتُك. أنت ثمين/ ثمينة لي، لأني أحبك. لا يصبح الواحد هو حقاً إلاّ بفضل حبّ الآخر.

نحن المسيحيِّين، ما هي المعالم التي نجدها في الإيمان لنشرح ذلك المسعى الذي يمكّن من نموّ ورقّة بين شخصين يختلفان كل الاختلاف في الاتّحاد بالحبّ؟

أسئلة

للتحاور بين الزَّوجَين

- ❖ ماذا نذكر من لقائنا الأول؟ (يستطيع كلّ واحد أن يرويه خطياً من جهته، ثم يتمّ التحاور). من أيّ نوع هي الذكريات التي تظهر عند العودة إلى الوراء وما هي الانفعالات التي ترافقها؟
- ❖ على أيّ وجه أثار ذلك اللقاء فينا تغييراً؟ قبل لقاء الآخر، إلى أيّ شخص أو إلى أيّ شيء انتقلت اهتماماتنا؟
- ❖ ألاحظ كل يوم (أو ربما عدّة مرّات كل يوم) أن شريكي يختلف عني، حيناً أميراً وحيناً ضفدعاً... ما هي القيود التي تحول دون الالتفات إلى المستقبل في موقف ثقة تامة؟ وكيف نوّفق بين مقتضيات تفاهم غرامي عميق واحترام كبير للآخر؟ وكيف يكون ردّ فعلنا على أن العيش معاً يدعونا إلى التخّلي عن أمور شاقة أحياناً، وبأي شيء يمكن أن يكون مشروعنا المشترك مصدر انشراح؟

للتحاور في الفرقة

- ❖ يمكننا أن ننطلق من تبادل أحداث في ولادة الحب الذي يربط بيننا: كيف انتقلنا من إعجاب الأيام الأولى إلى الالتزام في سرّ الزواج؟
- ❖ إن لقاء شريك حياتنا قد يبدّل علاقتنا بمحيطنا. كيف؟
- ❖ كيف يقبل المحيط الزَّوجَين والقيم التي يتبنّيانها؟ هل نشعر بأننا مُسانَدون أم مبرَّدو الهمّة؟

صلاة

نص للصلاة (يو ١/ ٣٥-٥١)

" وكان يوحنا في الغد أيضاً قائماً هناك، ومعه اثنان من تلاميذه. فحدّق إلى يسوع وهو سائر وقال:

"هوذا حمل الله !". فسمع التلميذان كلامه فتبعا يسوع. فالتفت يسوع فرآهما يتبعانه فقال لهما:" ماذا تريدان؟" قالا له:"رابّي"(أي يا معلّم) أين تقيم؟" فقال لهما:" هلّما فانظرا!" فذهبا ونظرا أين يقيم، فأقاما عنده ذلك اليوم، وكانت الساعة نحو الرابعة بعد الظهر.وكان أندراوس أخو سمعان بطرس أحد اللذين سمعا كلام يوحنا وتبعا يسوع. ولقي أولاً أخاه سمعان فقال له:" وجدنا المشيح، ومعناه المسيح. وجاء به إلى يسوع فحدّق اليه يسوع وقال:" أنت سمعان بن يونا، وستُدعى كيفا"، أي صخراً.

وأراد يسوع في الغد أن يذهب إلى الجليل. فلقي فيلبّس فقال له:" اتبعني!" وكان فيلبّس من بيت صيدا، مدينة أندراوس وبطرس. ولقي فيلبّس نتنائيل، فقال له:" الذي كتب في شأنه موسى في الشريعة وذكره الأنبياء، وجدناه، وهو يسوع ابن يوسف من الناصرة". فقال له نتنائيل:" أمن الناصرة يمكن أن يخرج شيء صالح؟" فقال له فيلبّس:"هلمّ فانظر؟". ورأى يسوع نتنائيل آتياً نحوه فقال فيه:" هوذا إسرائيلي خالص لا غشّ فيه". فقال له نتنائيل:" من أين تعرفني؟" أجابه يسوع: "قبل أن يدعوك فيلبّس وأنت تحت التينة، رأيتك". أجابه نتنائيل:" رابّي، أنت ابن الله، أنت ملك إسرائيل". أجابه يسوع: "ألأنّي قلت لك إني رأيتك تحت التينة آمنت؟ سترى أعظم من هذا." وقال له:" الحقّ الحقّ أقول لكم:" سترون السماء منفتحة، وملائكة الله صاعدين نازلين فوق ابن الإنسان".

<u>نصوص مرافقة:</u>

"صوت حبيبي".

"صوت حبيبي هوذا مُقبل
وهو يطفر على الجبال ويقفز على التلال.
حبيبي يشبه ظبياً أو شادن أيِّلة
هوذا واقف وراء حائطنا.
يتطلّع من النوافذ ويترصّد من الشبابيك.
حبيبي تكلّم وقال لي:" قومي يا خليلتي، يا جميلتي، وهلمّي
فإن الشتاء قد مضى والمطر وقف وزال"

(نش ٢/ ٨-١٢)

<u>الشخص والمشاركة والعطاء</u> (مقتطفات من الرسالة البابوية" كرامة المرأة" ٧):

"إن تعمّقنا بالفكر في مجمل وصف سفر التكوين (تك ٢/ ١٨-٢٥)، مفسّرين إياه في ضوء الحقيقة على صورة الله ومثاله(تك ١/٢٦-٢٧)، نستطيع أن نفهم بوجه أفضل على ايّ شيء تقوم ميزة الكائن البشري الشخصية التي بفضلها يظهر الاثنان- الرجل والمرأة- على صورة الله. فإن كل إنسان هو على صورة الله، بصفته خليقة ناطقة وحرّة، قادرة على معرفة الله ومحبّته.ونقرأ أيضاً أن الإنسان لا يمكن أن يكون "وحده" (تك ٢/١٨). فلا يستطيع أن يكون موجوداً إلا" في وحدة اثنين"، وبالتالي في صلة بشخص بشري آخر. يدور الكلام هنا على صلة متبادلة، صلة الرجل بالمرأة والمرأة بالرجل. فكونه شخصاً على صورة الله ومثاله يُفترض إذًا أن يكون في صلة "بالأنا" الآخر... انه تمهيد إلى الوحي النهائي بأن الله هو واحد وثالوث في حدّ ذاته: وحدة حيّة في مشاركة الآب والابن والروح القدس".

في مطلع الكتاب المقدس، لا يُقال لنا ذلك مباشرة. فإن العهد القديم كله هو، بوجه خاص، الوحي بالحقيقة في وحدانية الله.وفي تلك الحقيقة الأساسية عن الله، أدخل العهد الجديد الوحي بالسرّ الذي لا يُسبَر وهو سرّ حياة الله الحميمة. والله، الذي يعرّف نفسه إلى البشر عن طريق المسيح، هو الوحدة في الثالوث، الوحدة في المشاركة. وبهذه الطريقة، يلقى أيضاً ضوء جديد على صورة الله ومثاله، في الإنسان، ورد في سفر التكوين. فكون الإنسان، الذي خُلق رجلاً وامرأة، هو صورة الله، لا يعني فقط إن كلاً منهما وحده هو صورة الله، بصفته كائناً ناطقاً وحراً، بل يعني أيضاً أن الرجل والمرأة، اللذين هما "وحدة مركّبة من الاثنين" في بشريّتهما المشتركة، هما مدعوّان إلى أن يعيشا في مشاركة حبّ وأن يعكسا في العالم مشاركة الحبّ التي في الله، والتي بها يحبّ الأقانيم /الثلاثة/ في سرّ الحياة الإلهية الحميم. إن

الآب والابن والروح القدس، الذين هم إله واحد بوحدة الألوهية، يوجدون كأقانيم بفضل العلاقات الإلهية التي لا تُسبر. وبهذه الطريقة فقط تُفهم الحقيقة القائلة بأن الله نفسه هو محبة (١يوحنا ١٦/٤).

وبناء على ذلك، فإن صورة الله ومثاله في الإنسان الذي خُلق رجلاً وامرأة (بفضل القياس الذي يمكننا أن نفترضه بين الخالق والمخلوق) يعبّران أيضًا عن"وحدة الاثنين" في بشريتهما المشتركة. هذا وإن "وحدة الاثنين" التي تدل على المشاركة بين الشخصين، ترينا أن شيئاً من الشبه بالمشاركة الإلهية قد طُبِع في خلق الإنسان. وذلك الشبه قد طُبِع بصفته إحدى خصائص الكائن الشخصي أي الرجل والمرأة، وفي الوقت نفسه بصفته دعوة ومهمّة. وفي صورة الله ومثاله، التي يحملها الجنس البشري منذ "البدء"، يتأصل ما يِؤسس "الأخلاق" التي تتوّج بالحب.

في "وحدة الاثنين"، يُدعى الرجل والمرأة منذ البدء، لا إلى أن يوجَدا فقط "الواحد في جانب الآخر" أو "معاً"، بل إلى أن يوجدا "الواحد من أجل الآخر".

(البابا يوحنا بولس الثاني)

<u>لقاء:</u>

إن اللقاء هو شيء نادر ورائع: حضور شخص لشخص آخر. حاضران الواحد للآخر، والحياة تجري من الواحد إلى الآخر.

لكننا نستطيع أن نكون معاً بدون أن نتلاقى. نستطيع أن نعيش في بيت واحد، يوماً بعد يوم، وان نجلس إلى مائدة واحدة، وان نركع جنباً إلى جنب، وان نطالع الكتب نفسها، من دون أن نلتقي.

إن اللقاء هو شيء نادر ورائع، حضور شخص لشخص آخر، حاضران الواحد للآخر، والحياة تجري من الواحد إلى الآخر.

جان فانييه

الفصل الثاني

"ويصيران جسداً واحداً" (تك٢/٢٤)

من الشأن الجسدي إلى الشأن الروحي

شهادات

"إن الشعور بالوحدة الروحية والسعادة التامة، الذي يجده الزوجان في أوقات الملء الجنسي، يساعدهما على أن يتفهّما بوجه أفضل صورة إله كلّه عطاء واستقبال، فإن روحانيتنا الزَّوجِيّة نعبّر عنها عَبرَ أجسادنا، كما أن كلمة الله يستخدم طبيعته البشرية ليُظهر لنا محبة الله".

شعرتُ شعوراً حاداً بفرح استقبال حضوره وتغلغله وسُكنى حياته فيَّ، إذ إني لم أعُد اعرف أين هو الحدّ بين الواحد والآخر، لأن مشاعري كانت تهتزّ للإيقاع نفسه، وكنت أشعر معه بلحظة السعادة التي لا توصف، والقائمة على لذة جسدية، ولا شك، مع أنها كانت تتجاوز هذه اللذة إلى حدّ بعيد وتشمل كامل كيانه وكياني اللذين أصبحا جسداً واحداً."

"إنّ تربيته وتربيتي البشرية والدينية محتا جسدنا وعلّمتنا، إن لم أقل: أن تحتقره، فأن ترغمه على الأقل. شعرنا يوماً بعد يوم بأنّ هذا الجسد هو سند حيوي يمرّ به روحنا ونفسنا. تأنس الله في جسد المسيح. ومن جهة أخرى، تُمنَح الأسرار عبرَ أعمال الجسد اليومية".

<u>مواد للتفكير</u>

الزواج سرّ الزَّوجَين (مقتبسات من المحاضرة التي ألقاها الأب شارل بونيه في أثناء الندوة "أي زوجين لأيامنا؟"، لمرور خمسين سنة على إصدار شرعة حركة فرق السيدة).

من الغريب أن استخدام صورة الزواج عن يد الأنبياء لوصف عهد الله مع إسرائيل أعطى الزَّوجَين المنزلة الأولى في الزواج، والأولوية عن يد الزَّوجَين، للأمانة في الحب. فإن الأنبياء(هوشع١/٣، وإرميا ٢/٢–٣،١ و٣/٣١، وحزقيال ١٦و٢٣، وأشعيا ٥٠/١ و٥٤/٥–٧ و٦٢/١–٥) شبّهوا العهد الذي يربط الله وشعب إسرائيل بزواج. إنها قصة زوجين ليسا سعيدَين في العيش المشترك، لأن المرأة هي متقلّبة، في حين أن الرجل يحاول أن يحافظ على كل شيء بالرغم من كل العقبات، لأنه لا يفقد الأمل في أن يرى الزوجة تعود فيستطيع أن يستأنف معها قصة الحب الكبيرة التي بدأها في الماضي. لكن هذين الزَّوجَين

لا يمتّان بصلة للزواج التقليدي. إنه عهد لا يعني إلا شخصين فقط، عُقِدَ بمبادرة الزوج الحرّة، من دون تدخّل العائلتين ومن دون ذكر الأولاد. إنّه عهد حبّ يتوقّف على خطوة الزوج:" وجدت حظوة لديه"... وهو اختيار مجّاني محض، لا بل اعتباطيّ، لا يُفَسَّر. لا يفرض الزوج أمره، بل يقترح وينتظر مشغول البال جواب الآخر. ينتظر أن يحبّه الآخر بجسده وقلبه. فلا يكون شرّ الزنى أن يُدخَل في عائلة الأب أولاد ليسوا منه، بل أن يُعنى أن الزوجة ليست له، بل لأحد آخر.فإن هبة الجسد تعني الذي أحبّه والذي لا أحبّه. وما يصبح الشيء الأهم عند الزَّوجَين هو تعلّق الواحد بالآخر والأمانة في الحب.

وذلك ما سيكون سبب ضعف الزَّوجَين، لأن الحب هو"ولد متشرّد"، كما سيرد في الأغنية. فإن قصة مغامرات الحب بين الله وشعبه إسرائيل هي قصة صاخبة. ذلك بأن الله لا ينجح كثيراً في الحب، لأنه كثيراً ما يظهر زوجاً مخدوعاً وخائباً، ولا عجب، فإن الشعب الذي يحبّه لا يتقيّد بمواعده ويتقلّب مع كل ريح، ويستسلم لكل حب جديد. إن الحب والدوام لا يتّفقان، لأن الحب، طالما هو رغبة وعاطفة وهوى، يبدو محكوماً عليه بزوال سريع يحكم طبيعته. وهو يحتاج، في كل لحظة، إلى أن يستعيد انفعال نشأته. فلا يطيب له إلاّ الربيع.

ولذلك فلكي نزيد الحب الذي نتكلم عليه كثافة ودواماً، يجب أن نؤسسه، لا على لذّة وجودنا معاً وعلى العاطفة وإعادة عبارة"أحبّكَ، أحبكِ" بلا نهاية، بل على الخضوع لإرادة الآخر، وعلى الرغبة في إتمام إرادته. فيكون الحب التجرّد عن إرادتنا الشخصية لإتمام أرادة الآخر، والتجرّد عن رغبتنا لتكون في خدمة رغبة الآخر وتوقّعه. وبما أن توافق الإرادتين كثيراً ما يتحطّم، فإن الحب يبتدع الغفران. فالغفران يضفي على الحب الدوام. لا تُطلَب حتماً المصالحة الباهرة بعد انقطاعات باهرة، بل هبة النفس مرّة أخرى وبوجه أفضل ممّا كان. أمام الأمور التي تهدّد وتُبعد وتجرح وتُتَفِّه أو تبرّد الهمة، فإن الغفران يُقرِّب ويضمِّد الجروح ويجدّد الهمّة. إنه عرض انطلاقة جديدة وربيع جديد، ولكن بربيع يجب إنعاشه دائماً، لأنه لا يدوم إلا لأنه يعود فينطلق [...].

إنّ الأنبياء، انطلاقا من حقيقة زوجَي العهد، ساعدوا الشعب اليهودي على اكتشاف ما ينتظره الله من الزواج. فارتبطت الحقيقتان بعد ذلك. وأخذ الإنسان يتعلّم من الله ما هو الزواج. وقبل أن تولد الكلمة الجديدة، اكتشف الأنبياء كيف أن الزَّوجَين البشريّين أرادهما الله بصفتهما" السرّ الكنسي"، والعلاقة المنظورة للأقانيم الثلاثة، وكيف يجب على كل زوجين أن يصبحا تلك العلاقة حقاً يوماً بعد يوم. لأنه، لا يكفي أن يؤلّف زوجان لكي يُشبها الأقانيم، بل يجب أن يحيا كل زوجين على صورتهم: في حبّ أمين يريد أن يبقى دائماً، ويكون دائماً مستعداً لأن يغفر.

زوجان لا يؤلفان إلا جسداً واحداً

انطلاقاً من تقاليد مختلفة جزئياً، رجّع سفر التكوين صدى نظرة الأنبياء. لأنه إذا صحّ أن سفر التكوين هو أول أسفار الكتاب المقدّس، يبقى أن فصوله الأولى لم تُكتَب أولاً. ذلك بأن تأليف جوهر هذه الفصول تطلب وقتاً طويلاً، نظراً إلى أهميتها بالنسبة إلى سائر الفصول. وجدير بالذكر أن صور الزَّوجَين التي وردت في كل من الفصلين الأولين لا تتطابق تماماً.

تشدّد الرواية الأولى على الخصب:"انموا وأكثروا" (تك١/٢٨). وينال الإنسان كل سلطة على الخليقة. لكن مهمته هي من طبيعة واحدة. وليس هو إلا عنصراً من مجموعة مدعوّة إلى ملء عالم معدوم الشكل وفارغ. وعلى البشر أن يُعمروه كما أعمرته النباتات والحيوانات التي ائتُمِن عليها. ومع ذلك، هناك جملة تبدو في غير محلّها، وهي ليست"لنصنع الإنسان على صورتنا كمثالنا"

(تك ١/٢٦)، فقد تقتصر الصورة على سيطرة على الخلائق لا تختلف عن سيطرة الله. فيكون الإنسان فقط خالقاً وسيداً على طريقة الله. لا، بل المراد هو موضوع الصورة" رجلاً وامرأة خلقهم، على صورة الله خلقهم" (تك ١/٢٧). وفي هذه الحال، لم تعد الصورة في السيطرة على الخلائق، بل في صلة كائنين مختلفين لا يكفي واحد منهما لتأمين صورة الله، لا يكونان على صورة الله إلا معاً.والزوجان، رجل وامرأة، لم يعودا، كما ورد عند الأنبياء، صورة عهد الله مع إسرائيل، بل كيان الله نفسه. وقد يعني النص أن الإله الواحد يمكن أن لا يكون إلهاً منفرداً، بما أن الصورة لا تؤمَّن إلا بشخصين.

أمّا الرواية الثانية، فإنها تتمّ كلّها في الصلة بين الرجل والمرأة. هنا يكمن قلب القصة. لم يعد الرجل عنصراً من مجموعة ظهرت قبله، ولا طوراً من قصة سبقته، وهو مكلّف أن يواصلها في الخطّ نفسه. إنه البداية، وما من شيء وُجد قبله، فإن الطبيعة والحيوانات لا تظهر إلاّ بعد خلقه. ولكن ما من شيء يستطيع أن يملأ عزلته، علماً بأن سيطرته تجعل عزلته أشقّ. والكائنات التي يسيطر عليها لا يمكن أن تكون شركاءه، لأنه هو السيّد. فلا تصبح الصلة ممكنة إلا حين يكون الآخر هو نفسه،" عظم من عظامه ولحم من لحمه"، أحد من نسله، من منشئه، إن لم نقل: من طبيعته. فالصلة، أي الهبة للآخر، تصبح ممكنة:" ولذلك، يترك الرجل أباه وأمه ويلزم امرأته، فيصيران جسداً واحداً" (تك٢/٢٤).

إن الزواج هو نقطة انطلاق:تُرخى حبال المركب. لا بد من الانقطاع عن الماضي لكي تصبح الوحدة ممكنة. فكل من الزَّوجَين يتخلّى عن ماضيه لكي يتعلّق بالمستقبل، "فلا يصير الاثنان إلا جسداً واحداً". إن سمحنا لأنفسنا بأن نرى في هذا النص تلميحاً إلى اتّحاد الزَّوجَين الجنسي، وجب علينا أن نعرف أن كلمة "جسد" لا تعني هنا جسم الإنسان، بل الكائن البشري، فنقول:" يصير الاثنان كائناً واحداً". ذلك بأن

النص يدل على وحدة الشخصين وعلى الاتّحاد الحميم بينهما. فالمطلوب حالياً هو الوصول إلى وحدة الزَّوجَين لكي يصبحا كائناً واحداً. هناك إذاً طريق طويل لكي يصل كل واحد إلى أن يرى في الآخر كائناً غير منفصل عنه وعن قصته ومشاريعه. لا يدور الكلام على انصهار، بل على اتّحاد. إنهما يبقيان اثنين، ولكنهما يؤلفان كائناً واحداً. لا فرق هناك بين وحدة الزَّوجَين ووحدة الجسدين، علماً بأن وحدة الجسدين هي السرّ الكنسي لوحدة الكيان، لأنها تعنيها وتجعلها ملموسة وتحققها.

على صورة العهد الذي وصفه الأنبياء، نحن هنا أيضاً أمام عهد يختص بزوجين، يتم عن بعد من عائلتين يأتيان منهما وبصرف النظر عن العائلة التي سيُنشئانها، جميع العناصر أصبحت في محلّها، ولم يبق للعهد الجديد إلاّ أن يأخذها على حسابه ويستخلص جميع نتائجها.

عدم تفريق ما يجمعه الله

لا يجوز لنا أن نقول بأن التفكير في الزواج يحتل منزلة مرموقة في الأناجيل وفي تعليم يسوع. ولكن إذا صحّ أن الأحداث التي تلمّح إليه هي قصيرة جداً، فإنّه يقدَّر لها مستقبل زاهر. وما بدا جوهر تعليم يسوع في هذا الأمر(متى١٩/١-٩) يواصل رأساً ما ورد في نصوص سفر التكوين. وما طُلِبَ إلى يسوع أن يُبدي رأيه فيه يتعلق بضعف الزواج. لأنه يبدو طبيعياً للذين يطرحون عليه السؤال أن عدداً كبيراً من الزيجات تنتهي بالطلاق، طُلب إلى يسوع أن يسنّ قوانين في الطلاق وان يحدّد قواعده:"بأي شروط يكون الطلاق شرعياً؟" فظهر جواب يسوع في تأخّر بالنسبة إلى زمنه بقدر ما هو بالنسبة إلى زمننا. في نظر معاصري يسوع، كما في نظر معاصرينا، هذا شيء بديهي. وقد مضى على عدم تفهّم هذا الموضوع ٢٠٠٠ سنة. حتى ولو كان الكلام يدور على طلاق من قبل الرجل، لا على طلاق برضى متبادل، لا يتغيّر معنى جواب يسوع الذي يتجاوز الحالة الواقعة التي يُعطى فيها الجواب. والحال أن يسوع إن استند إلى الفصلين الأولين من سفر التكوين، لا يحفظ من الفصل الأول إلا ما يعني الزَّوجَين "رجلاً وامرأة خلقهم" ويستشهد بالفصل الثاني "ويترك الرجل أباه وأمه ويلزم امرأته فيصيران جسداً واحداً". ولقد استخلص يسوع من هذا النص نتيجة لم يستخلصها أحد قط حتى الآن: بما أنه أرادهما واحداً، "فما جمعه الله فلا يفرّقه الإنسان". إن اللذين كانا جسداً واحداً لا يمكن أن يصيرا اثنين. فالرجوع إلى نصوص سفر التكوين يُغفل جميع التلميحات إلى الخصب التي كان من الممكن أن نجدها في الفصل الأول من سفر التكوين.ما يجعله يحرّم الطلاق ليس هو خير الأولاد ، بل خير الزَّوجَين. فإن الجملة" يترك الرجل أباه وأمه ويلزم امرأته" تتّسم بطابع لا ينعكس. ما هو في المركز هو الزوجان أما الإحالة في البدء، أي إلى التدبير الإلهي فإنه يدل على أن التأكيد لا يوجّه فقط إلى الشعب اليهودي، إلى جميع البشر. إن عدم

قابلية الفسخ ينتظرها الله من كل زواج، لا من زواج المؤمنين فقط. هذا وإن يسوع يأخذ على الشريعة اليهودية أنها لطّفت تدبير الخالق، لتلبية ضعف البشر. لا يمكن أن يُجعَل ممّا سُلِّم به بسبب ضعف البشر أن يكون شريعة زواج للبشرية [...].

أن نُحبَّ كما أنّ المسيح أحبّ الكنيسة

إن الرسالة إلى أهل أفسس في ٥/٢١-٣٣ تجمع بين تقليد سفر التكوين وتقليد الأنبياء. فإن جملة سفر التكوين نفسها هي التي تبقى دائماً في جوهر النص: " يترك الإنسان أباه وأمه ويلزم امرأته فيصير الاثنان جسداً واحداً، لكن هذه الجملة لم تعد تطبّق على الزَّوجَين البشريين، بل على اثنين آخرين وهما "المسيح والكنيسة، كما يرد مباشرة:" وإني أقول هذا في أمر المسيح والكنيسة". إن الاثنين الأولين لم يعودا الاثنين المزوَّجين ولا الاثنين الأصليين، بل المسيح والكنيسة. هذان هما الاثنان الحقيقيان، الاثنان اللذان يجب على سائر الاثنين أن يستوحوا منه. فإن القديس بولس تناول تقليد الأنبياء، ولكنه أجرى استبدالاً جريئاً .

استبدل الاثنين التقليديّين اللذين وجدهما في العهد القديم،" الله والشعب الإسرائيلي"، بالمسيح والكنيسة، فإن يسوع يُعرض بأنه العريس، على غرار إله إسرائيل، وتُعرض الكنيسة بأنها شعب الله الجديد. هذه هي جدّة الإيمان المسيحي، وهي التي كان في إمكانها أن تصدم الشعب اليهودي صدماً شديداً، إن أُنسب إلى إنسان لقب يخصّ الله، وإن قيل بأن الله عقد بشخص يسوع عهداً جديداً يتجاوز الشعب الإسرائيلي. وإذا سُلِّم بذلك، فعلى هذين الاثنين تطبّق أولاً وحقاً جملة سفر التكوين. ترك يسوع أباه ليلزم الكنيسة ويصير معها جسداً واحداً. ذلك هو الزواج الحقيقي الذي عقده على الصليب هو السرّ الزواجي المثالي، كما أن تذكار الصليب والعشاء الإفخارستي، يشارك هو أيضاً في سرّ الزواج هذا. يبذل المسيح جسده ليصير معنا جسداً واحداً. وما يجري على الصليب وفي الإفخارستيا ينضمّ إلى ما يجري في الزواج: البذل التام ليصير واحداً مع الذي من أجله يبذله فليس هناك موهبة غير موهبة المسيح تستحق بهذا الكمال اسم الزفاف والعهد.

لكن ما كان يصحّ في الزَّوجَين الله وإسرائيل يصحّ الآن بالزَّوجَين المسيح والكنيسة. فكما أن كل زواج عند اليهود كان مدعواً إلى التشبّه بعهد إسرائيل وشعبه، كذلك يجب على كل زواج بعد اليوم أن يتشبّه بزواج المسيح والكنيسة. يجب عليه أن يكون على صورته ومثاله. ولذلك، فإن هذه الفقرة التي نقرأها في الفصل الخامس من الرسالة إلى أهل أفسس تكمن أهميتها في ظرف" كما". فكما أن الزوج يهتّم بزوجته، كذلك اهتمّ المسيح بنا، "فعلى الرجل أن يحب امرأته، كما أن المسيح أحبّ الكنيسة"، أن يحبّ على

مثاله، لا بالتسلّط، بل ببذل النفس في سبيلها. وعلى مثال المسيح، يجب أن يهتم بتقديسها وتشبّهها تماماً بالإله القدوس. المطلوب منه هو عدم التركيز على النفس للتركيز عليها، والاستسلام لها كما استسلم المسيح. أحبّها كما تحبّ نفسك، لأنّكما جسد واحد. إن بولس يعطي كل أهميتها للعبارة. بما أن الاثنين صارا جسداً واحداً، فإن من يحبّ زوجته يحبّ نفسه ويريد خيرها وكأنه خيره، ويتمسّك بها كما يتمسّك بنفسه. وما هو حسن لها هو حسن له.

بذل الجسد لكي يكون الزوجان جسداً واحداً

إن كان الزوجان يحبّان الواحد الآخر، فإنهما سرّ كنسيّ للزوجين الأولين، أي للمسيح والكنيسة. فهما يوجدان بوجه منظور من الجميع ذلك الرباط الزَّوجِيّ الذي يجمع بين المسيح والكنيسة. ولكنهما لا يكونان ذلك بحبّ القلب فقط، بل يستطيعان ان يكونا هكذا على مستوى واقعي كثيراً ما يُنسى باتّحادهما الجسدي الواحد بالآخر. لا يعني كونهما جسداً واحداً أنهما صارا كائناً واحداً فقط وقلباً واحداً، بل جسداً واحداً أيضا: لأنهما، هنا أيضا، يعيشان شيئاً من اتّحاد المسيح والكنيسة. إن المسيح يحقّق الزفاف، لا بحبّه الكنيسة فقط بكونها جسده الخاص، وبالاعتناء بها وتقديسها وتغذيتها، بل بهبة جسده أيضا ليكون معها جسداً واحداً. وهذا الاتّحاد الذي حقّقه في موته وقيامته يُعلَن ويُحضَر في الإفخارستيا، حيث يبذل المسيح جسده ليكون جسداً واحداً مع جميع الذين يتحدون بجسده.

كل زواج هو صورة وسرّ كنسي لذلك العهد. فحين يقوم كل من الزَّوجَين بتسليم جسده إلى الآخر الذي يحبّه ليكونا جسداً واحداً، فإن كلاً منهما يعيش شيئاً من عهد المسيح والكنيسة الأبدي. والاتّحاد الجنسي الذي يتمّ فيه الزواج هو سرّ كنسي، بمعنى أن هذا الاتّحاد يشارك في حقيقة الهبة التي يقدّمها المسيح بجسده الكنيسة لكي لا يكون إلا جسداً واحداً معها. الرجل والمرأة يحبّان الواحد الآخر كما أن المسيح أحب الكنيسة، ولكن أيضا عندما يتّحدان كما أن المسيح يتّحد بالكنيسة... فإن الاتّحاد الجنسي، ولا الحبّ الزَّوجِيّ فقط، هو سرّ كنسي، لأن ما هو سرّ كنسي هو الحبّ الزَّوجِيّ كله من دون أن نستثني بُعدَه الجسدي. وفي نظر القديس بولس والكنيسة، فإن هبة الجسد هي حسنة حتى أن الله لا يتردد عن أن يجعل منها صورة هبته الخاصة.

تردّدت مدة طويلة قبل أن أقول ذلك، وقد يكون سبب هذا التردّد خوفي أن أضع على لسان القديس بولس أكثر ممّا يجب ، أو خوفي أن أصدم بعض الناس، فقد يقولون: كيف أن حقيقة لا تُعدّ روحية إلا قليلاً يمكن أن نذكرها في كلامنا على الجلجلة والإفخارستيا؟ ولكن أليس ردّ فعل كهذا هو احتقار لاواعٍ للجسد ولشؤون الجنس؟ فهل هناك عدم قدرة الإيمان بأن الاتّحاد الجنسي هو من نظام البُعد الروحي؟ سبق

للقديس بولس أن كتب في ١ قورنتس ٦/١٥-١٧ ما نقرأه بين السطور: وهو يدعم رأيي. ثمّ إنّي اكتشفت أن بعض كبار اللاهوتيين في الماضي قد فكّروا فيه. فهناك هِنكمار الرَّمسي كتب في وسط القرن التاسع عشر، مستنداً إلى القديس أوغسطينس والقديس لاون: "إن الزفاف لا يحمل سرّ المسيح والكنيسة، إن لم يُعَش، كما قال القديس أوغسطينس، وفقاً للحياة الزَّوجِيّة، أي إن لم يتبعه الاتّحاد الجنسي. هذا ما يُثبته القديس لاون بقوله:" إن المجتمع الزَّوجِيّ أُسّس منذ بدء العالم لكي يسجّل سرّ المسيح والكنيسة في اجتماع الجنسين" هذا وإنّنا قد نجد خواطر مماثلة عند البابا يوحنا بولس الثاني.

هذا ما يفسر لنا إذاً احترام الكنيسة العميق لاتّحاد حبّ الرجل والمرأة. ولذلك، فإن صحّ أن اتّحاد الأجساد مدعو إلى أن يعني ويأوّن اتّحاد المسيح والكنيسة، فلا يمكن أن يكون عملاً مبتذلاً واحتكاكاً سريعاً للبشرات، سعياً وراء لذة عابرة، أو حتى حركة عاطفية مبتذلة بين رفاق. إنه، على عكس ذلك، دليل على عطاء تام للآخر. فإن الجسد يقول إلى من ينتمي القلب: حيث يكون جسدك هناك يكون قلبك. لا يُعطي الإنسان جسده إلا للذي أو التي يصاهرها أو تصاهره. إن عطاء الجسد للآخر هو أعلى درجة في العطاء. فالجسد هو آخر ما يُعطى، حين يذهب الإنسان إلى آخر درجة من الحبّ وحين يقرّر أن يعطي نفسه للأبد. هذا ما فعله المسيح:" بلغ به الحبّ إلى أقصى حدوده...فقال لهم... هذا هو جسدي يُبذل من أجلكم للعهد الجديد الأبدي."

في نظرة الكنيسة، لا يمكن أن تأتي تلك العطية إلاّ في المنتهى، حين يكون الزوجان قد قرّرا أن يصل الطريق الذي سلكاه معاً إلى آخره معاً. فإنه يدل على عطية تامة، وعلى خاتمة مصاهرة للأبد. وإلاّ تكون تلك العطية سابقة لأوانها أو كاذبة: أعطي جسدي، لكني لا أعطي ذاتي. بل أُعيره على أكبر تقدير، فلا يلزمني شيء. وبناء على ذلك، أقول إن عطية الجسد هي لا غنى عنها لكي يكون الزواج سرّاً كنسياً حقيقياً يدل على عهد المسيح والكنيسة(....). الأب شارل بونيه.

أسئلة:

للتحاور بين الزَّوجَين

- في أيّ ظروف حصل لنا أن نشرك جسدنا في فكرة البذل أو الهبة(مثلاً: بالكلام، بالابتسامة، ببذل الحياة، الخ)؟
- "مجّدوا الله بأجسادكم"(ا قور ٦/ ٢٠) بما أن المسيح وهب جسده للبشرية كهبته الأخيرة والأهم، فهل ذلك ساعدنا على تمجيد جسدنا وجسد شريكنا؟

- "إن الإله الواحد ليس منفرداً (موريس زندل). كيف تساعد علاقة الحب بين الرجل والمرأة على تفهّم علاقة الحب في الإله الثالوث؟

صلاة

نص للصلاة (يو٢/ ١-١٢)

"وفي اليوم الثالث، كان في قانا الجليل عرس، وكانت أمّ يسوع هناك. فدُعي يسوع أيضاً وتلاميذه إلى العرس. ونفذت الخمر، فقالت ليسوع أمه:" ليس عندهم خمر". فقال لها يسوع:" ما لي ولك، أيتها المرأة؟ لم تأت ساعتي بعد". فقالت أمه للخدم:" مهما قال لكم فافعلوه". وكان هناك ستة أجران من حجر لما تقتضيه الطهارة عند اليهود، يسع كل واحد منها مقدار مكيالين أو ثلاثة. فقال يسوع للخدم: "إملأوا الأجران ماء"، فملأوها إلى أعلاها. فقال لهم:" اغرفوا الآن وناولوا وكيل المائدة". فناولوه. فلمّا ذاق الماء الذي صار خمراً، وكان لا يدري من أين أتت، في حين أن الخدم الذين غرفوا الماء كانوا يدرون. دعا العريس وقال له: "كل امرئ يقدّم الخمرة الجيدة أولاً، فإذا سكر الناس، قدّم ما كان دونها في الجودة. أما أنت فحفظت الخمرة الجيدة إلى الآن.

هذه أولى آيات يسوع أتى بها في قانا الجليل، فأظهر مجده، فآمن به تلاميذه. ونزل بعد ذلك إلى كفرناحوم هو وأمّه وإخوته وتلاميذه. فأقاموا فيها بضعة أيام."

نص

"مَن لي بِكَ كأَخٍ لي قد رَضعَ ثَديَ أُمي
فأجِدَكَ في الخارِجِ وأُقَبِّلَكَ بِغَيرِ أَن يَحتَقِروني
ثُمَ آخُذَكَ وأَدخُلَ بِكَ إِلى بَيتِ أُمِّي فتُعَلِّمَني.
وأنا أَسْقيكَ الخَمرَ المُطَيَّبة وعَصيرَ رمَّاني.
شِمالُه تَحتَ رأسي ويَمينُه تُعانِقُني

(نشيد الأناشيد ٨/١-٤)

الفصل الثالث

" ورأى الله جميع ما صنعه فإذا هو حسن جداً " (تك ١/٣١)

جمال العمل الجنسي

شهادات

"إن الحياة الجنسية تملأ باستمرار سائر أوقات الحياة. وهي أساس في حياة الزَّوجَين لا بدّ من أخذه بعين الاعتبار. ولا يمكن أن نفصل الحياة الجنسية عن نمط حياتنا أو عن حياتنا كما هي [...].

"بالنسبة إلينا، فإن الاتصال الجنسي هو عيد دائماً، ومن قال: عيد بمعنى النوعية أكثر من الكمية. فالعيد والمجّانية والسخاء هي ثلاث صفات للاتصال الجنسي. إن كانت حاضرة حقاً في حياتنا الجنسية، نكون سعداء، يملأنا فرح عظيم له صدى في حياتنا الاجتماعية والمهنية، والعكس بالعكس. ليس كل ذلك من الأمور السهلة، ولكنه طريق سعادة. يجب أن نقوله ونكرّره حوالينا. إن لم نقل ذلك، لن يعلم بعض الشباب أبداً أن هناك علاقات غير ابتغاء اللذّة الشخصيّة، وأنها تلبّي الحياة بوجه مختلف".

"في أشدّ أوقات الامتلاء الجنسي، نكتشف أن ما في ذلك اللقاء من فرح وابتهاج هو ظهور محبة الله، ونرى أن اللقاء الجنسي ينقلب إلى نوع من الصلاة والشكر".

"إنّ أوقات الامتلاء الجنسيّ تجعلنا سعداء تماماً، فلا نتمنّى غير ذلك. نفكّر في موقف الرسل عند التجلّي، ولا نطلب غير أن نشاهد ونعيش دائمًا في تلك السكينة وذلك السلام وذلك الامتلاء. هذا وان الامتلاء الجنسيّ يفتح قلوبنا على التأمّل، وهو فكرة صغيرة لما سنعيشه للأبد في مجد الله."

"في هذا الوقت الذي أحقق نفسي فيه تماماً بصفة امرأة، اشعر بحاجة كبيرة إلى أن اشكر الله على كلّ الحبّ والارتياح. اشعر عندئذٍ بلطفه ومحبّته. وفي الوقت نفسه، أفكر بالعديد من الأزواج الذين يعانون مشاكل اتّصال ولا يجدون فيها اكتماليتهم. وأرى أنّ تلك الساعة التي نعيشها عيشا حسناً تعطينا القوّة للنهار كلّه، لأننا نشعر بأننا متحدين وقابلين للتأثّر. ولذلك ارفع الشكر إلى الله."

مواد للتفكير

"ورأى الله أنّ ذلك هو حسن جداً "(تك١/٣١). يُعجَب الله بالخليقة كلّها، بما فيه طبعاً خلق الرجل والمرأة، ويُعجَب بمصيرهما أن يكونا خصيبين، وهذا ما يفترض جنسهما. فلنُعجَب نحن أيضاً بحُسن الاتصال الجنسي.

في الفصل الأول، وجّهنا نظرنا إلى المقاربة الأولى، إلى اللقاء الذي يُدهشنا ويُبهرنا ويغيّرنا، لا بل" يخلقنا" من دون أن نعلم. عند الله شيء يريد أن يقوله عن مغامرة هذين الزَّوجَين البشرية والروحية، واللذين سيُخلقان للأبد. وسيكون خلقهما (وبدونه لا وجود للزواج) ذلك اللقاء الجنسي، وهو مرحلة ساحرة و"مدوِّخة"، التي نتناولها في هذا الفصل.

أمّا ذلك العمل الذي "لا بدّ من أخذه بعين الاعتبار"، والذي نجده في مركز الخليقة وتطوّر العالم، فمن الطبيعي أن تستولي عليه جميع صيغ التفكير والتمثيل والتنظيم: الصيغ الأدبية (القصائد والروايات والمسرح...)، والصيغ الفنّية (النحت والرسم...)، والصيغ المؤسّسية (الكنائس والإدارات...) الخ، لعلّ كل واحد منّا قد تحسّس بإحدى صيغ التمثيل أو بكتاب من الكتب. فكيف يهتدي الإنسان في مثل هذه الكثرة؟

ولكي نتقدّم في تفكيرنا، نقترح عليكم أن نستند إلى وثيقتين: الأولى مجموعة للأب جوزف فرنسكي التي سبق ذكرها، والثانية هي كتاب لكزافييه لاكروا،" الجسد والروح".

إن الأب فرنسكي، الذي احتكّ بأفقر الفقراء، يلفت النظر إلى عظمة شؤون الجنس، فإنها تبقى، أيًّا كانت ظروف الحياة التي قد تشوّهها. لا نذكر هنا إلاّ بعض خواطره:

"عبر كل اتصال جنسي، يحاول الإنسان أن يبتكر. ولذلك لا نستطيع أن نقول بأن رجلاً يرتمي في ذراعي امرأة. إنه يرتمي في ذراعي مستقبل [...]، في ذراعي ما يرغب أن تصبح المرأة التي يلتقيها [...]. إن شؤون الجنس هي أرهب ساعة يعيشها الإنسان. ولذلك فإن صداها بعيد جداً، علماً بأنها تنقل الإنسان إلى ما أسمّيه دوخة الله الخلاّقة. وان كانت هناك ساعة يشعر فيها الإنسان بأعمق اتّحاد بالله، فهي ساعة الاتصال الجنسي، وليس ذلك لأنه يستطيع ان يخلق كائناً جديداً، بل لأن الاتصال الجنسي هو العمل الأساسي الذي يخلق فيه الرجل والمرأة نفسيهما على صورة الينبوع الذي يخرجان منه. وأيّاً كان إله ذلك الرجل أو تلك المرأة، فإنهما يقومان بالعمل الذي قام به الله حين خلق الإنسان والعالم.

"لماذا حُوِّلت شؤون الجنس إلى حالة لحم ودم، في حين أن الحبّ يُدخلنا إلى الاستيلاء على العالم؟ فكّرت أحياناً، من جهة الرجل، بأن رائعة المرأة هي أنها تمثل أول اختيار إبداعي يستطيع أن يحققه. فإنه يجد فيها الإزاء الذي يمكّنه من مواجهة الآخر، التي يجب عليه أن يمرّ بها في حاجته إلى الكمال. فبفضل المرأة سيستطيع أن يتدرّج على الخليقة(...).

"إن المرأة، التي أوقظت على إمكانية تكميل الرجل وإعطاء رجل كامل للعالم، وأن تكون بعد ذلك امرأة للأبد، داخله هكذا إلى الأبدية مع الولد الذي سيولد، أفلا توسّع تلك المرأة جميع أبعاد نفسها؟ إن المرأة،

التي اكتشفت أنها تستطيع أن تخلق كائناً جديداً، يمكنها أن تصلي وتركع أمام الله. فهي قد تعلّمت ما هو الحبّ".

أمّا كزافييه لاكروا فإنه يرفع تحدّي الانتقاد الموجّه إلى المسيحية بأنها تحتقر الجسد إلى حدّ ما. إن ديانة التجسّد وما كتبه القديس بولس" فمجّدوا الله بأجسادكم"(ا قور ٦/ ٢٠) لا تستحق هذا الاتِّهام. وفي الوقت نفسه، يشرح المؤلف أحسّ وجوه شؤون الجنس.

نشأة الشهوة: "إن الجسد المفهوم في الجمال يبقى بعيداً. ولا يُدرَك إلاّ في ظاهره. والحال أن هناك أوقاتاً تظهر فيها الشهوة أقل تجرّداً، ولا تكتفي بالظاهر، وتستهدف الجوهر والاحتكاك بالجسد بصفته لحماً ودماً، وفي كثافته وحياته الحساسة [...]. وفي نظر الشهوة، يظهر الجسد قريباً وبعيداً، يُحَس به ولا يُحَس به، وشخصياً وغير شخصي. وهو، في آن واحد، مادياً وتسكنه حياة فائقة، فيكون إن نظرنا إلى الحالة القصوى، بين وضع الشيء ووضع الفاعل. فهناك الفتور واللطف والعذوبة والمتانة، وصفات المادة الحساسة، ولكن تضاف إليها الاهتزازات والخفقان وتنفّس حياة تأتي من بعيد جداً، حاملة قسطاً كبيراً من السرّ... وفيها يبدو شخص الآخر، في آن واحد يستسلم وينسحب. وكأني أستشعر فيها ما لا حدّ له في المحدود (صفحة ٢٣-٢٤)

"إن اختبار الحنان، مع انه كثيراً ما يُشرَك في اختبار الشهوة، من دون أن يختلط بها، يمرّ هو أيضاً بالجسد [...] فإن الحنان شبيه بالغشيان وهو انقطاع عن الجفاء أو عن نِسب قوة تميّز قليلاً أو كثيراً العلاقات الاجتماعية. أفلا يُقال" له ميل إلى؟" إن قلب الحجر يصبح قلب لحم ودم. والآخر يصبح فيه عزيزاً بتحوّله إلى لحم ودم. وكذلك يصبح لحماً ودماً بتحوّله إلى عزيز. إن حنان اللحم والدم هو اعتراف متبادل بضعفَين، ولقد دخل بصفته رنيناً لعَطوبين [...] (صفحة ٢٤-٢٥)

"لكنّ الاتّحاد ليس مجرّد إحساسات. فهو أيضاً، وقد يكون أيضاً بوجه أشدّ أساساً، مجموعة حركات. والحال أن هذه الحركات ليست مجرّد وسائل للوصول إلى غاية محدّدة مُسبقاً وقد تكون الانتعاظ. بل تلك الحركات نفسها هي أعمال، أي أن لها، بحدّ ذاتها، معنىً، وأنها كلام" (صفحة ٤١)

حركاتنا الحنانية: " ليست حركاتنا الحنانية مندوباتنا أو وسائلنا، بل هي نحن، أو، بالأحرى، فيها نحن متجسِّدون وفاعلون" (ص ٤٢).

– المغازلة: ليست المغازلة ملامسة أو تملّكاً فقط (وضع اليد على الآخر). بوجه أعمق، أي بوجه أصحّ، هي احتفال بجسد الآخر وتكييفه. وهي عبارة عن تنزّه على ذلك الجسد، على سطح جلده، للشعور بعمقه

ولمساعدة الآخر على الشعورية. ولذلك فهي، في آن واحد، محاولة تملّك، أو، على الأقل، محاولة تطويع، واختبار أنّ لا الآخر ولا جسده هما في قدرتي أو في امتلاكي. إنه اختبار عدم امتلاك في اكبر قرب ممكن. فإن جسد الآخر بصفته لحماً ودماً، هو هنا تحت يدي، ومع ذلك فهو لا يزال آخر، يحمل حياة أشعر بأنها تهتزّ فيه، ولكنها لا تزال فوق قدرتي.

ولذلك، تبقى المغازلة شهوة أو، بالأحرى، لغة الشهوة. إنها سعي وراء ما لا تعرف ما هو، من دون هدف معيّن ومن دون مشروع ولا مخطّط. فهي نزهة حرّة على الجسد–المشهد، بما فيه من وديان وسهول وتلال. لكن ذلك المشهد يُمدّد وجهاً، وهو يسكنه أحد لا أراه، وأقرب من ان يُرى، مع أني أحاول أن أصل إليه عن طريق وجهه غير المنظور، عن طريق جسده القريب جداً والناعم جداً، القابل للاختراق وغير قابل للاختراق في آن واحد، إنها استخدام الشهوة لأنها في الوقت نفسه، انتظار [...].

من قال مغازلة لا يقول حناناً فقط، بل وعداً أيضا. وقد نلاحظ أيضا أن المغازلة هي تطويع الجنسين الواحد بالآخر: جنس الرجل بالمرأة، وجنس المرأة بالرجل".

- العناق: "بمعنى الكلمة الأولى، أحاط بذراعيه، وهذا يعني أني فتحتهما أولاً لأستقبل الآخر، ثم أغلقتهما لأستقبله حقاً، في مجالي الخاص، في مجالي الحميم، أهيئ له مكاناً، بمعنى أني أهيئ مكاناً في حضن مجالي لمجاله الخاص الحميم. وبذلك أكون قد حوّلت إلى حركات انتصاراً على المسافة، وعلى علاقة المجابهة، قد لا يكون الصراع بعيداً في الزمن أو في تشابه الحركات – إننا نتكلم حقاً على"صراع غرامي"، ولكن، حين يكون هذا الصراع غرامياً حقاً، تعبّر المعانقة عن تجاوز العنف وعن الوصول إلى علاقة تبادل مقبول ننتقل فيه من قساوة تصادم الوجودين إلى شكل آخر من الكيان: هو الحنان الذي يدور الكلام فيه بالأحرى على الاعتراف بقابلية الانجراح، في انتظار الخلاص من الإقرار بالضعف. لا تكون المجابهة بعد ذلك، بل التفاف الواحد بالآخر، ولا يكون التظاهر بمن هو الأقوى، بل احتماء الواحد بالآخر، ولا تكون المقاومة، بل الصمود معاً في حضن عذابات الحياة.

- القبلة: "وضع الشفتين على الجلد أو على شفتي الآخر... وما قد يكون التهاما (أليس الفم للامتصاص أولاً ؟) يصبح، على عكس ذلك، تعبيراً عن انتصار على القابلية. وبدل أن يلتهم الواحد الآخر، يكون المقصود أن يشربا، كما يشربان من كأس. وبعد الكلام، تكون العودة إلى ينابيع الكلام.

في القبلة، يكون القرب أكبر ممّا هو في المغازلة أو في المعانقة. فإن جلد الشفاه هو أنعم وأسرع التأثّر من جلد الأيدي أو الأذرع.

والشفاه هي غشاء مخاطي لأنها وردية ورطبة: فإن حياة الجسد الداخلية تبرز عليها وتكاد أن تتّصل بالخارج، علماً بأن الفم هو إحدى ثُغَر الجسد [...].

إن الاستسلام للقبلة هو انتصار على أسوار الجسد وعدم الاكتفاء بأن يبقى الإنسان سجيناً "لكيس الجلد"، ورغبة في الانتقال إلى الآخر ومعرفة ذوقه والاقتراب من جوهره. هذا وان تبادل النفسين واللعابين، وعمل اللسانين، وصعود الشهوة تؤدي إلى تجاوز الاشمئزاز العادي المرتبط بمثل هذه الملامسات. إن القبلة على الشفتين هي نقطة انطلاق. فكثيراً ما تعلن عن تبادلات أخرى وبدئها، وهي واحدة من أغشية مخاطية. وهناك انتصارات أخرى على المقاومات أو على العنف، ومقدّمات أخرى نحو الحميمية، وخطوات أخرى نحو ضبط الجسدين وإحكامهما.

– الاختراق: "الاختراق والانخراق هما عملا ضيافة، بمعنى الضيف والمضيف. في جنس المرأة، يجد جنس الرجل شِبه مسكن، ومكاناً دافئاً ومسيّجاً، فينغمس في عمق يجد فيه شكله، مع مبرّره، غلافاً. أما المرأة فهي على ما يبدو، تستقبل بوجه خاص. ولأنها لا تعيش الاتّحاد بسعادة إلاّ إذا كانت هي نفسها مستقبَلة، وإذا وجدت مكانها، بين ذراعي الرجل وإذا كانت عطية القضيب نفسه قابلة للتأثر باستقبالها. فإن المذكّر يمتحن المؤنّث والمؤنّث يمتحن المذكّر، كلاهما في نفسه وفي خارج نفسه. ولكن أين تمرّ إذاً حدود الداخل والخارج؟ إن الخارج والداخل تقف عن التعارض، لأن الانتصاب هو، في الوقت نفسه، تضمين. كل واحد هو، في آن واحد، محيط ومحاط، وساحر ومسحور. فالرجل، الذي هو محاط في عضوه الجنسي المركزي، ومحيط بأعضائه الخارجية (الذراعان والساقان) والمرأة هي الساحرة في جنسها والمسحورة في كل جسدها.

إلى أبعد من اللذة"

إن وقف تحليل الاتّحاد عند هذا الحدّ، كان ناقصاً. فإنه ينسى أن الجماع هو أيضا، وبلا انفصال، ذلك الفعل الذي يكون به الإنجاب، أو كان، أو قد يكون ممكناً، ولنقل ملقّحاً. وذلك لا يخلو من آثار في معناه نفسه. فالمقصود أولاً ، وليس هولا شيء، هو فعل مماثل للفعل الذي تحدّر منه الممثلون الأولون. فإن ذاكرتهم، وعقلهم اللاواعي، في نظر المحللين النفسانيين، يحفظا ن ذكره. ولكن هناك شيء آخر، وهوان الجماع ترافقه إفرازات مَهبلية عند المرأة وخروج زرع عند الرجل. إن هذه النتائج أكثر أهمية مما يظن بعض الناس. فإن إمكانية الخصب، أن لم يُعمَل أيّ شيء لمنعه، هو جزء من معطيات الاتّحاد. وأخيراً، كما تقول الحكمة اليهودية، ففي الولد يصبح الرجل والمرأة جسداً واحداً.

لا نريد أن نعظّم هنا خضوع كل اتّحاد لغاية الإنجاب "بل نكتفي بأن نقول إن دمج احتمال الخصب هو جزء من معاني شؤون الجنس. إنه لا يُضاف إليها، بل هو متصل بها. إن معنى أعمالنا لا يأتي من نوايانا فقط، بل هو مترسّخ في بنية جسدنا (ص ٤٢-٤٦).

إليكم أيضاً ما كتبه البابا يوحنا بولس الثاني:" إن اتّحاد الجسدين هو أقوى الكلمات التي يستطيع كائنان أن يتبادلاها".

أسئلة:

للتحاور بين الزَّوجَين

- كل واحد يطرح الأسئلة على الآخر: هل أعمال حبّنا توحّدنا؟ ماذا تريد(تريدين) أن أغيّر في موقفي لكي تزيد تلك الأعمال حبّنا؟
- ليقل كل واحد للآخر ما يبدو له مهماً في إعداد اللقاء الزَّوجِيّ وتحقيقه: العطف، والموقف العام، والإعداد العاطفي في النهار، والتفكير في الآخر أكثر من التفكير في النفس، والمصالحة مع النفس، ومع الآخر، والروحانية؟ ماذا يمكنكم أن تضيفوا أيضا؟
- هل تشعران بأنكما ملهمَين لتأليف قصيدة لشريكيكما، أو على الأقل لقراءة قصيدته؟ (أيتها المواهب غير المعروفة...!).

للتحاور في الفرقة

- لأفراحنا الزَّوجِيّة في أثناء مغامرتنا الزَّوجِيّة، فلنترك مجالاً لتأليف صلاة حمد وشكر.
- كيف نعرض على الشباب نظرة تفاؤلية وواقعية إلى شؤون الجنس؟

صلاة

نص للصلاة(أفسس٥/٢٥-٣٣)

"أيها الرجال، أحبّوا نساءكم كما أحبّ المسيح الكنيسة وجاد بنفسه من أجلها، ليقدّسها مطهّراً إياها بغسل الماء وكلمة تصحبه، فيزفّها إلى نفسه كنيسة سنيّة لا دنس فيها ولا تغضّن ولا ما أشبه ذلك، بل مقدّسة بلا عيب . وكذلك يجب على الرجال أن يحبوا نساءهم حبّهم لأجسادهم. من أحبّ

امرأته أحبّ نفسه. فما أبغض أحد جسده قط، بل يغذيه ويُعنى به شأن المسيح بالكنيسة. فنحن أعضاء جسده. ولذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلزم امرأته فيصير الاثنان جسداً واحداً. إن هذا السرّ لعظيم. وإني أقول هذا في أمر المسيح والكنيسة. فكذلك انتم أيضاً فليحبّ كل منكم امرأته حبه لنفسه، ولتوقّر المرأة زوجها."

نص مرادف

أنت جميلة يا خليلتي
أنت جميلة يا خليلتي ولا عيب فيك
هلمّي معي من لبنان أيتها العروس
هلمّي معي من لبنان
اتركي رأس أمانة، رأس سَنير وحرمون
من مرابض الأسود، من جبال النمور.
قد خلبتِ قلبي يا أختي العروس
قد خلبتِ قلبي بإحدى عينيك
وبحلقة من عقدك.
ما أجمل حبّك، يا أختي العروس
إن حبّك ألذّ من الخمر ورائحة أطيابك فوق جميع الأطياب.
شفتاك تقطران شهداً، أيتها العروس
وتحت لسانك عسل ولبن حليب
ورائحة ثيابك كرائحة لبنان
أختي العروس جنّة مقفلة
جنّة مقفلة وينبوع مختوم.
قنواتك فردوس رمّان
مع كل ثمر لذيذ وحنَّاء مع ناردين.
ناردين وزعفران، قصب ودار صيني
مع كل شجر البخور مرّ وعود مع أفخر الأطياب.
ينبوع جنّات وبئر مياه حيّة وأنهار من لبنان.

(نش ٤/٧-١٥).

مختارات من خطاب البابا بولس السادس إلى فرق السيدة (١٩٧٦/٥/٤)

"ذلك بأن العطية ليست انصهاراً. فإن كل شخصية تبقى مختلفة. وبدل أن تذوب في العطية المتبادلة، فإنها تثبت وتُرهف نفسها، وتنمو طوال الحياة الزَّوجِيّة، وفقاً لشريعة الحبّ الكبرى: كل واحد يعطي نفسه للآخر لكي يعطيا نفسيهما معاً.

فإن الحبّ هو الإسمنت الذي يشارك في كل ذلك، في أعماق سرّه الشخصي ومركّباته العاطفية والحسيّة والجسدية، إلى جانب مركباته الروحية، إلى أن يشكّل بوجه أفضل دائماً، صورة الله التي عُهد الزوجان بأن يجسّداها على مرّ الأيام، ناسجين إياها بالسرّاء والضرّاء، علماً بأن الحبّ هو أكثر من الحبّ.

ما من حبّ زوجي إلا أن يكون في ابتهاجه، اندفاعاً نحو اللانهاية، وإلا أن يكون في اندفاعه، تاماً وأميناً وحصرياً وخصيباً (الحياة البشرية، رقم ٩).

في تلك النظرة تجد الشهوة معناها التام. فإن الاتصال الزَّوجِيّ، الذي هو وسيلة تعبير ومعرفة ووحدة، يغذي الحبّ ويقوّيه، كما أن خصبه يرشد الزَّوجَين إلى ازدهارهما التام، فيصبحا على صورة الله، ينبوع حياة.

لا يُخفى على المسيحي أن الحبّ البشري هو حسن في أصله، وإذا صحّ أنه على غرار كل ما في الإنسان، مجروح ومشوّه بسبب الخطيئة، فإنه يجد في المسيح خلاصه وفداءه. على كل حال، ألسنا هنا أمام درس علّمتنا إياه عشرون قرناً من التاريخ المسيحي؟ ما أكثر الأزواج الذين وجدوا في حياتهم الزَّوجِيّة طريق القداسة، إلى جانب وحدة الحياة التي هي وحدها مؤسسة على أحد أسرار الكنيسة.

بُعد الجسد الزَّوجِيّ

"إن الجسد البشري، الذي توجّهه باطنياً" هبة الشخص الصادقة"، لا يُظهر فقط ذكورته أو أنوثته على الصعيد الطبيعي، بل يظهر أيضاً قيمة وجمالاً، حتى إنهما يتجاوزان بُعد" شؤون الجنس" الطبيعي فقط. وهكذا يُكتَمَل، في معنى معيَّن، الشعور بمفهوم الجسد الزَّوجِيّ، المرتبط بذكورة–أنوثة الكائن البشري. وهذا المفهوم يشير من جهة إلى قدرة خاصة على التعبير عن الحبّ الذي يصبح فيه الكائن البشري هبة، ومن جهة أخرى، يمتلك الكائن البشري القدرة والاستعداد المتأصل" لإثبات الشخص"، أي، حرفياً، القدرة على عيش أن الآخر – المرأة للرجل والرجل للمرأة – هو بواسطة الجسد، أحد مرغوب فيه" من أجل نفسه" من قبل الخالق، أي فريد ومتميّز، أحد اختاره الحبّ الأزلي".

البابا يوحنا بولس الثاني

المعانقة

"اللغة الأسمى، الملء الروحي جسماً لجسم. بفضلك، معك، بالقرب منك، عشتُ جسماً لجسم لنفسَين. إن جسماً لجسم وحده يضفي على حوار النفسين قوّته وملأه. لقد اكتشفنا معاً السرّ: وهوان المعانقة هي مغامرة الروح القصوى. فإن وجه الآخر يصبح وجه العالم: يتفكك ويعود فيتركّب كما تعمل مشاهد الهواء والشمس. يتبدّد الظل تحت ضربات الشهوة، ويخفق نور الجسم المحبوب، ويتجمّع ويلفظ نفسه الأخير في الفرح الذي يعود فيغطّي كل شيء، كما أن البحر المرتفع يغطي الرمل. ويغرق وجه العاشقة في طحالب الشعر والشواطئ المؤنّثة تحصر النهر الذكر. إن حوار الحب نفسه يكشف عن تصوّف الأبد.

إن صوفية الجنس هي عبارة فارغة. وبالمقابل، كيف ننكرها للمعانقة من قدرة تصوّفية تنضم فيها قوى الحياة وتحكم وتقترن في وثبة هي وثبة الفكر تبحث عن وثبة أخرى، والقلق يبحث عن قلق آخر، والروح نفسه في حضور العالم الذي يعلم بأنه، في آن واحد، صانعه وظلّه؟ فإن الجسدين اللذين يتعانقان لا يجهلان أنّهما أدوات مطالبة تتجاوزهما. كل ما له قيمة يعمل في ذلك التواطؤ في هيئة قتال. والضوء الذي يلمع في طرف المجابهة هو ضوء المطلق المتواضع. لا شيء يستطيع أن يطفئه ولا شيء أيضا يحوّله إلى آتون.

منذ اليوم الأول، كنتَ قد شعرتَ بأن أقصى درجة من الحياة، في هذا البلد الساحر والرهيب، هي ضرورية. وما قد يبدو تكلّفاً في الحشمة كان، من قبلك، غريزة لا شك فيها. وحين يكون المهمّ مدَار جدال، فإن المرح نفسه يصير خطيراً. أن أسلوب المزح الثقيل أو أسلوب الدقة التشريحية لا يليقان إلا قليلاً بتلك اللحظات التي تتخطى الدوام وتتلألأ كالنجوم في ليل الحياة اليومية. كنت تعرف، بفضل نبراتك وحركاتك، الجمع بين الترتيب وقلة النظام، وبين الانضباط والهوى، وبين عزة النفس والاستسلام.

إن نظرة العاشقة التي ترزح تحت دوخة هي نظرة ميتة عادت إلى الحياة، حيث ينتصر الرجاء على الخوف. وعلى خشبة المسرح الحميم، ، فإن المسرحية التي تُمَثّل تُسَمّى موت وقيامة. في تلك الدقائق التي يكون فيها مفصل الجسدين مفصل النفسين، يصبح الجسد نفساً وتصبح النفس جسداً. فإن الإشادة توصل إلى الخَوَر، والخَوَر هو الإعلان عن إشادة جديدة، وذلك التناوب بين الأشواط القوية والأشواط الضعيفة هو سرّ الروح الذي يعرف، على غرار القلب، الانقباض والانبساط...إن حركات الشهوة هي حركات الروح ، والروح يتغذى من مجد المعانقة(...).
على المعانقة، ركّبنا، يوماً بعد يوم، مغامرتنا بين الجنسين، ما زلنا نرى في فعل الحب الدليل إلى إمكانية

إقامة ارتباط بالمطلق. لكن الوقاحة والبذاءة تدلاّن سلبياً على خطورة المعانقة. وهما تؤديان إكراماً غير مباشر بمحاولتهما أن تجعلا من رهان الكائن البشري حركات لا قيمة لها.

قضيت سنين طويلة محاولاً أن أقيم جسراً بين التصوّف وشؤون الجنس. لكن العديد من الناس صُدِموا أو ابتسموا. من أين جاء أن فعل الاتّحاد بين الرجل والمرأة يخوّف، في حين أن جميع التحريمات تُنبَذ بقوة؟ التفسير الوحيد هوان كل واحد يعرف أن الحياة الجنسية السعيدة هي أكبر نجاح. إن الشقاء الجنسي عند الكثيرين هو سبب ذلك الصمت المرتعب، في حين أن أشدّ العلاقات عند الكائن البشري، هو المعانقة، لأنها تنفتح على المطلق، وتُعَد اللانهائي المحصور، ولأن مجدها هو التنفس المفتوح على العالم.

لا تحاول المعانقة أن تحطم الحدود التي تفصل الكائنات، لأنها التحالف بين جسدين يستخدمان ما يفارق بينهما، لكي يذهبا إلى ما بعد الأمور الاصطلاحية والمبتذلة والضعيفة. إن التكرار لا ينفي الخروج عن الحدّ بل يضفي عليه بنية. طوال أربعين سنة، كان هذا الخروج عن الحدّ، الذي أضفينا عليه بنية، نمط حياتنا.

إن الأجساد تشفق على النفوس وتريد أن تساعدها على اللحاق بها. دعوها وشأنها، فإن المعانقة هي أفضل لغة بين الجسم والنفس.

الفصل الرابع

"إلى رجلكِ تنقاد أشواقكِ وهو يسودُكِ" (تك ٣/١٦)

نبني معاً حياة جنسية متناغمة

شهادات

"يميل الرجل بالأحرى إلى" روحنة" شهوته الطبيعية، وتميل المرأة بالأحرى إلى" شهونة" روحانيتها".

"حقائق الحياة الجنسية، تدرّب شاق لا يخلو من الوقوع في الفشل، والمرارة العائدة إلى رغبات غير محَققة، لأن حاجاتنا كانت تختلف، إلى جانب شهواتنا التي كانت مخففة بسبب الخوف من الخطيئة [...]. كما أن الاتصال الجنسي، الذي يقع في الروتينية ويكون عاملاً سلبياً [...] .ولم يصبح اتصالنا الجنسي تاماً وناجحاً إلا بعد خضوع امرأتي للعملية، وهذا ما يجعلنا نقول بأن الأجيال الفتية، بفضل المستحضرات المانعة للحمل الحاضرة والانقلاب الذي حدث في ديانتنا، لن يعرفوا الصعوبات التي عشناها، لكنهم سيعرفون صعوبات أخرى، لأن نجاح الاتصال الجنسي ليس مؤمَّناً تأميناً نظامياً."

"ما من شيء مكتسب مسبقاً، فإن شهوة المرأة هي كالمنقوشة، لأنها قد تسقط بسرعة. على الرجل أن يكون الطبّاخ الماهر الذي يعرف أن يحفظ طعم المأدبة"

"قال لي حنا:" إني أجوع إليك، يا امرأتي. ففي المساء، حين أعود منهكاً، أنت التي أدعوها. فإن تظاهرتِ بالنوم، جاهلة عذابي، أعود ساكتاً.

وحين تتصلبين، أنغلق فوراً، سيسيء الحظ لكوني لا أفهمكِ كما يجب وأبدو لك متطلّباً. قد يبحث عنك جسدي بتطَلُّب أشدّ من اللازم [...]. لو تعرفين، أيتها المرأة، أني حين أجوع إليك، فإن جوعي يتجاوز جسدك إلى أقصى درجة: لأنك تعنين لي بدرجة لا يعبّر عنها غنى حبنا التام، بجسدنا ونفسنا معاً، وهو رائعة من روائع الخالق [...]. لكن المرأة لا تستطيع أن تجيب دائماً، وليس هذا دليلاً إلى عدم الحب. لماذا هذا المساء؟ لماذا لا في الأمس أو في الغد؟ لا تسأليني عن ذلك، فإني لا أستطيع أن أقوله لك. أنا أعرف منذ أول لحظة، من أول اقترابك مني، أني لا استطيع أن أجيبك في هذا المساء. اعرفي قفا الصورة: إن التي تهتز مشاعرها كالكمان الأوسط، لا تستطيع مشاعرها دائماً أن تهتز. احترم فتور عزيمتها، واشمئزازها، وذلك العطش إلى السلام الذي يستولي على جسدها. وهو أُقل جشعاً من جوعك. دعها هادئة".

مَوادّ للتفكير

لو صحّ أن تبادل الملذّات أو المآثر الجنسية هي ضمانة للسعادة أو للتناغم بين الأشخاص لظهر ذلك وعُرِف.

"إن الاتّحاد الجنسي، الذي هو مكان الحميمية العظمى، هو أيضاً مكان سوء التفاهم الأعظم. ليس من الثابت أن الرجل والمرأة يبتغيان الشيء نفسه من اللقاء. فهناك العديد من الناس الذين يعانون هذا الفرق: الواحد يبتغي التلذّذ خاصة، والأخرى تبتغي، على سبيل المثال، الحنان خاصة، إن تفضيل القيمة الحنانية قد تُنسي قرابة التلذّذ مع العنف، كما أن لغة حركات الحنان، على سبيل المثال، ليست في هذه البساطة وهذا الصفاء، كما يقال: والمغازلة هي احتفال، ولكن قد يكون أيضاً محاولة امتلاك، والتقبيل هو استقبال، ولكن قد يكون أيضاً تطويقاً، والمعانقة قد تكون خنقاً، والقبلة التهاما، والاختراق ضغطاً. بين الاتّحاد الموافَق عليه والاغتصاب، جميع أنواع المراحل الانتقالية".

"هكذا فإن المرأة التي تشعر بأنها "عارية للنظر" تشعر بأن هذا النظر غير صافٍ، لأنه إلقاء نظرة إلى جسدها بصفته مُعتبراً غرضاً، في حين أنها تعتبره جسدها. لا بل قد تتمرّد في قلبها على الآخر وتشعر ببغض شديد للذي يرغمها بلا انقطاع على أن تعرض للدعارة أعمق كيانها، وذلك تحت مظهر الواجب الزَّوجِيّ... وأمام إكراهها باعتبارها غرضاً، قد تردّ المرأة بالإكراه، حين تحاول أن تنتقم من الرجل بوقوفها موقف السلبية، وباستخدامها روح زهد كاذب يجعلها تتألم في الواقع هي أيضاً. وبذلك فإن شهوة الواحد تدفع إلى استياء الآخر– استياء المرأة من أنانية الرجل ورغبته في السيطرة بصفته رجلاً، واستياء الرجل من أنانية المرأة وسلبيتها– مع أن الشهوة الجنسية هي رغبة عميقة في الوحدة ودعوة إلى الآخر، فإن الشهوة– "الطمع" في جسد الآخر– يدفع الكائنين إلى التلذّذ بالجسد فقط وإلى السيطرة على الآخر، ويُغلقهما في العزلة".

"إن السؤال الذي يجب أن نطرحه على أنفسنا هو: هل حركاتنا الجنسية توحّدنا؟ إن كانت هناك ساعة يستطيع فيها رجل وامرأة أن يشعرا بأنهما على مسافة بعيدة جداً الواحد من الثاني، يكون ذلك في حياة جنسية فاشلة. وان كانت هناك ساعة يشعر فيها رجل بأنه في عزلة صادمة، يكون ذلك في اتّحاد جنسي لا تقاوم فيه امرأته. فيجب أن نعرف أن حركاتنا الجنسية لا توحّدنا في حدّ ذاتها".

وبما أن الحب هو، في جوهره، أن نفهم تصرّف الآخر، فلنعرض ثلاثة وجوه هامّة من التصرّف الجنسي: تصرّف الزوج، وتصرّف الزوجة والمشاكل المشتركة.

- **تصرف الزوج:** على الزوج أن يهتمّ بإعداد قلب امرأته وإعداد جسد امرأته، للوصول إلى اتّحاد عميق. وان يسهر على ابتغاء التزامن بين ملذات كل واحد.

- أما **تصرّف الزوجة** فيجب أن تمليه الثقة بنفسها وبزوجها، والبساطة، وان تعرف كيف تشارك وترغب وتعبّر عن أفكارها... والسخاء والقدرة على خطو الخطوة الأولى، وعدم اتخاذ موقف سلبي، وعدم اعتبار زوجها شحاذاً.

وبما أن النساء، بفضل الاختلاط في المدارس، أخذن يوماً بعد يوم، يعملنّ عمل الرجال في الحياة المهنية، فقد خفّت الفوارق. يبقى أن كل واحد من الزَّوجَين يتوجّب عليه أن ينسجم مع تصرّف الآخر، وان يهتم بالوصول إلى شيء من تزامن اللذة. ويتوجب أيضا عليهما أن يعبّرا عن رغباتهما وطموحاتهما من جهة، وعن تحفظاتهما وتقلباتهما من جهة أخرى. فلا بد من أن يجرؤا على أن يقولا إنهما موجودان كشخصين فريدين ومستقلين، وأن يرفضا أن يُعدّا مجرّد غرض جنسي في تخيلات الآخر، فيؤمّنا الشروط الأولية للقاء زوجي أصيل.

- **المشاكل المشتركة:** وجود تردّد حسن في العلاقات، واستهداف النوعية أكثر من الكميّة، ومعرفة قضاء الوقت والاستعداد لذلك، وعدم التفكير باتّحاد إن غاب الحب، والبدء بإعداد الشروط، وابتغاء لقاء الله في القريب العاجل الذي في أذرُعنا والتذكّر بأن الاتّحاد الجنسي ليس هو الحياة الزَّوجِيّة كلها، إذ هناك وسائل كثيرة لإظهار حناننا، ولكن هذا يفترض شيئاً من الإبداع.

وبكلمة واحدة، لكي توحّدنا أعمالنا الجنسية، يليق بنا أن نحترم المتطلّبات النفسية والفيزيولوجية والروحية عند كل واحد. ورد في سفر الأمثال: "ثلاثة يُعجزني فهمها وأربعة لا أفهمها: طريق العقاب في السماء وطريق الحيّة على الصخر، وطريق السفينة في عرض البحر، وطريق الرجل مع العذراء" (مثل ٣٠/١٨-١٩).

<u>أسئلة</u>

للتحاور بين الزَّوجَين

- ما هي في نظركما أكبر عقبات الحياة اليومية دون اتّحاد جنسي ناجح؟ وكيف يكون التغلّب عليها؟
- هل أعرت جسدي لشريكي أم أعطيته إياه حقاً؟ ما هي الدلائل التي تمكن من التمييز بينهما؟ (التفكير في شيء آخر، التخيلات، الخ)

- ألا يُعَد عدم الاستقبال، وعدم إثارة شهوة الآخر، ممارسة العنف عليه؟ كيف يمكننا أن نتغلّب على شهواتنا الجنسية ونجعلها تنسجم مع شهوات الآخر؟
- كيف نحمي أنفسنا من أعمال الفساد؟ أي سهر؟ كيف نعمل لكي لا نقع في التجربة؟
- كيف نهتم بجسدنا(العمر، الجمال، المرض...)؟
- كيف نحترم جسد شريكنا؟

للتحاور في الفرقة

- ماذا يفكر الناس في الجسد وفي علاقة الزَّوجَين كما يظهر ذلك في وسائل الإعلام والإعلانات وتماثيل العرض؟ ما هي صورة شؤون الجنس التي تُنقل فيها؟
- في مجتمعنا، حيث يُعرض كل شيء وحيث تعلّم آليات التناسل وشؤون الجنس في صفوف علم الحياة، وكيف يمكن أن يتمّ تعزيز الفكرة القائلة بأن العلاقة الجنسية يجب أن تكون دائماً عمل حب؟
- كيف يمكن أن نساعد الذين يعيشون في قربنا والذين نلقاهم على عيش علاقة صحيحة بين أشخاص، ولا بين بشرات فقط؟

صلاة

نص للصلاة

"وكانت الحيّة أحيل جميع حيوانات الحقول التي صنعها الرب الإله. فقالت للمرأة: أيقيناً قال الله: لا تأكلا من جميع أشجار الجنّة؟ فقالت المرأة للحيّة:" من ثمر أشجار الجنّة نأكل، وأما ثمر الشجرة التي في وسط الجنّة، فقال الله:" لا تأكلا منه ولا تمسّاه كيلا تموتا". فقالت الحيّة للمرأة:" موتاً لا تموتان، فالله عالم أنكما في يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتصيران كآلهة تعرفان الخير والشر". ورأت المرأة أن الشجرة طيبة للمأكل وممتعة للعيون وان الشجرة مُنية للتعقّل. فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت أيضاً زوجها الذي معها فأكل. فانفتحت أعينهما فعرفا أنهما عريانان. فخاطا من ورق التين وصنعا لهما منه مآزر. فسمعا وقع خطى الرب الإله وهو يتمشى في الجنّة عند نسيم النهار، فاختبأ الإنسان وامرأته من وجه الرب الإله فيما بين أشجار الجنة، فنادى الرب الإله الإنسان وقال له: "أين أنت؟" قال: "إني سمعت وقع خطاك في الجنة فخفت لأني عريان فاختبأت". قال: "فمن أعلمك أنك

عريان؟ هل أكلت من الشجرة التي أمرتك ألاّ تأكل منها؟" فقال الإنسان: "المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت". فقال الرب الإله للمرأة: "ماذا فعلت؟". فقالت المرأة: "الحية أغوتني فأكلت". فقال الرب الإله للحية:" لأنك صنعت هذا فأنت ملعونة من بين جميع البهائم وجميع وحوش الحقل. على بطنك تسلكين وتراباً تأكلين طوال أيام حياتك. وأجعل عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها. فهو يسحق رأسك وأنت تصيبين عقبه". وقال للمرأة: "لأكثرن مشقات حملك تكثيراً. فبالمشقة تلدين البنين وإلى رجلك تنقاد أشواقك وهو يسودك". وقال لآدم: "لأنك سمعت لصوت امرأتك فأكلت من الشجرة التي أمرتك ألا تأكل منها، فملعونة الأرض بسببك، بمشقة تأكل منها طوال أيام حياتك".

(تك ٣/١-١٧)

نصوص مرافقة

"إنّي نائِمَةٌ وقَلْبي مُستَيقِظ.

إذا بصَوتِ حَبيبي قارِعًا أَنَ افتَحي لي يا أخْتي يا خَليلَتي يا حَمامتي يا كامِلَتي

فإنَّ رَأسي قدِ امْتَلأَ مِنَ النَّدى وخَصائِلي من قَطَراتِ اللَّيل.

قد نَزَعت ثَوبي فكَيفَ أَلبَسُه؟ قد غَسَلتُ رِجلَيَّ فكَيفَ أوَسِّخُهما!؟

حَبيبي أَرسَلَ يَدَه مِنَ الثَّقْب فتَحَرَّكَت لَه أحْشائي فقُمتُ لأَفتَحَ لِحَبيبي وكانَت يَدايَ تَقطُرانِ مرًّا وأَصابِعي بِالمُرِّ السَّائِل على مِقبَضِ المِزْلاج.

ففَتَحتُ لِحَبيبي لَكِنَّ حَبيبي وَلَّى ومَضى.

نَفْسي فاضت من تَواريه

التمسته فما وَجَدته ودَعَوتُه فلم يُجِبْني.

صادَفَني الحُرَّاسُ الطائِفونَ في المَدينَة فضَرَبوني وجَرَحوني وحُرَّاسُ الأَسْرارِ نَزَعوا عَنِّي رِدائي.

أَستَحلِفُكُنَّ يا بَناتِ أورَشَليم: إن وَجَدتنَّ حَبيبي بِماذا تُخبِرْنَه؟ بِأَنَّ الحُبَّ قد أَسقَمَني.

ما فَضلُ حَبيبِكِ على حَبيبٍ آخَر أَيَّتُها الجَميلَةُ في النساء؟ ما فَضلُ حَبيبِكِ على حَبيبٍ آخَر حَتَّى تَستَحْلِفينا هكذا؟

(نش ٥/٢-٩)

مختارات من الرسالة البابوية "الجماعة العائلية"

"بما أن الإنسان هو روح متجسّد، أي نفس تعبّر عن أفكارها في جسد، وجسد ينعشه روح خالد، فإنه مدعو إلى الحب في كماله الموّحد. والحب يشمل أيضا الجسد البشري، ويجعل الجسد مشاركاً في الحب الروحي[...].

وبناء على ذلك، فإن شؤون الجنس، التي بها يهب الرجل والمرأة الواحد للآخر بأعمال الزَّوجَين الخاصة، ليست أمراً إحيائياً محضاً، بل تعني الشخص البشري بأحمّ ما له. وهي لا تحقق بوجه بشري حقيقي، ما لم تكن جزءاً لا يتجزّأ من الحب الذي يلتزم به الرجل والمرأة تماماً وجهاً لوجه حتى الموت. فالهبة الطبيعية التامّة تكون كاذبة إن لم تكن الدليل والثمر لهبة شخصية تامة يكون فيها الشخص حاضراً حتى في بعده الزمني. فإن تحفّظ الإنسان في أيّ شيء أوفي إمكانية اتخاذ قرار مختلف للمستقبل، لا تبقى الهبة تامة".

البابا يوحنا بولس الثاني

استسلام الواحد إلى الآخر

" فلا بد، قبل كل شيء، أن يكون الاتّحاد الجنسي دائماً عمل حبّ. لكن ذلك ليس شيئاً طبيعياً. قد يكون العمل الجنسي عملاً عنيفاً، وقد يكون أيضاً رغبة في التملّك والسيطرة، أو السعي الأناني وراء اللذة. كثيراً ما ينسى الإنسان هذه الجملة المقتبسة من الرسالة البابوية "الحياة البشرية": إن العمل الزَّوجِيّ المفروض على الشريك، من دون مراعاة أحواله ورغباته المشروعة ليس عمل حب ويعارض شرط النظام الأخلاقي الحسن في العلاقات بين الزَّوجَين. وكذلك، فإن عمل حب متبادل يمسّ الاستعداد لنقل الحياة يكون معارضاً لأحد الأهداف التي تكوّن الزواج".(الرقم ١٣). هناك عدة أسئلة تُطرح حول الجزء الثاني من الجملة، فهل هناك أيضاً عدة أسئلة تطرح حول الجزء الأول من الجملة، علماً بأنها لا تقل أهمية عن أسئلة الجزء الثاني. يجب علينا دائماً أن نسأل أنفسنا كيف نعيش اتّحادنا. إن الحب هو استسلام للآخر، ووضع النفس في خدمة شهوة الآخر وحتى في لذّته. والحب أيضاً هو عدم فرض على الآخر ما يعدّه في حياته مُذلاً ومُخزياً، لا بل يجب القبول، حباً للآخر، بالذهاب إلى أبعد ممّا يكون مقبولاً أو مرغوباً فيه تلقائياً. هناك لغة حب كاملة يجب علينا أن نجدها ونضعها في مكانها. علينا أن نبتغي معاً دائماً كيف يمكننا أن نجعل من ذلك العمل، يوماً بعد يوم، عمل حب وحنان وثقة وقبولاً للآخر وهبة له.

على كل حال، لا يلبث الاختيار أن يعلم أن ذلك العمل لن يقدر أن يعبّر بنفسه عن الحب، إن لم يتدرّج في حياة كلّها حب وهبة وصداقة تُقاسم. وإذا كذّب الاختبار ما يجري في الحياة اليومية، يُخشى أن يكون

كذباً وعنفاً، ولن يستطيع أن يدوم مدة طويلة، لأن الجسد يعجز أن يُخفي إلى ما لا نهاية له ما يحتويه القلب."

الأب شارل بونيه

خيانة الجنس

"لشؤون الجنس وجوه سلبية أحياناً. ففي اللقاء الجنسي، نريد أن يكون شريكنا لنا تماماً. إن وجد شريكنا صعوبة في الاتّحاد الجنسي، فقد لا يعود ذلك إلى سوء سير الأعضاء التناسلية، بل انه ربّما مجروح جنسياً. وقد يعود ذلك أيضا إلى رغبة شريكنا في الحصول على عدد اكبر من اللقاءات الجنسية، وقد يعود ذلك أيضا إلى عدم مهارته في القيام بالاتّحاد الجنسي أو إلى عدم شعوره بحاجاتنا. يجب علينا أن نكون أشد إرهافاً في الطرق التي نستخدمها حين نريد أن نغفر في الأمور الجنسية أو حين نبحث عن بعض التغييرات. فإننا، في هذا المجال، سراع التأثر والانجراح.

وإن علّقنا على ضعف طريقة شريكنا، يُخشى أن ننبذ كل طريقته في الحب، لأن الجسد يحبّ عبر الشخص كله. فإن نبذنا الوجه الطبيعي، يُخشى أن ننبذ القلب والآخر كلّه. وإن لم تسر الأمور على ما يرام في المجال الجنسي، لا بدّ أن نكون صابرين ومتسامحين، وان نُظهر كيف أن الأمور تُحَسّن من دون أن نقلّل من مستوى حب الشريك".

السيطرة على شؤون جنسنا

"يبدو أن هناك خوفاً منتشراً ممّا يتعلّق بشؤون الجنس، ويحمل على قمعها. ليس المطلوب هنا أيضا أن نعيشها بوجه غير مراقب، إن نتجت " عمّا في الدنيا من فساد الشهوة" (٢ بط ٤/١)، فإنها لا ترشد إلى الحياة، بل تؤدي إلى الفوضى. وبذلك تجرّ إلى العديد من المآسي العلائقية وتسبّب جروحاً كثيرة كالتجاوزات وأنواع العنف... ومن واجبات المسيحيِّين أن يكتشفوا أيضا الطبيعة الإلهية في شؤون الجنس. وهذا ما يسمح لنا بأن تكون لنا نظرة تتّسم خاصة بالإيجابية وتمتاز عنها بوجه واع ومقبول.

إن الذي يبذل كلّ نشاطه لكي يكبت ويرفض شؤون الجنس يضرّ نفسه، فهو كثيراً ما يختبر عدم النجاح في كبتها تماماً. فإنها تنقضّ عليه في أوقات الانهيار أو التوتّر، وتعبّر عن نفسها بشكل شبقيّة ذاتية أو أحياناً بشكل تصرفات غير مضبوطة مع القاصرين. إن هؤلاء الأشخاص يعذّبون أنفسهم عذاباً أشدّ، لأنهم يتورطون بلا انقطاع في حياة جنسية يريدون أن يكبتوها. أمّا الذي يتحمّل شؤون جنسية بهدوء،

فإنه يجد فيها طعم الحياة، ويشعر بالفرح في حياته الجنسية، ويصبح قادراً، في جميع المعاني، على تذوّق الله فيها، ويختبر روحانية حيّة وخلاّقة.

لا شك أن هذا الطريق نفسه مزروع بالعقبات. فإن شؤون الجنس هي قوّة لا تُحصَر في توجيه معيّن بما نتمنّاه من السهولة. ولكنه من المهمّ أن نعتبرها طاقة أعطانا الله إياها هبة بصفتها قوّة حسنة وضرورية لحياتنا [...] ومن أجل روحانيتنا. في هذه الأحوال، ستجد طرقاً تسهّل علينا أن ندمجها في مفهومنا للحياة. إن الأعزب يسير في طريق مختلف عن طرق الأشخاص المزوجين. ولكن ما هو جازم هوان نعتبر شؤون الجنس قوّة تأتي من عند الله ويمكن أيضا أن توصلنا إليه.

إني أتخوف دائماً من أن ألاحظ ذلك العذاب الشديد الذي ينتج عن شؤون جنس مكبوتة ومنوعة، ومن أن أرى الضرر الذي يعانيه الأشخاص، لأنهم يفسّرون الرسالة الكتابية، لا بمعنى تصوفي، بل يقلبونها بالأحرى بصفتها كلاماً يهذّب الأخلاق. وهذا ما يعود إلى أنهم يفصلون تماماً الله والعالم وأنهم يرغبون في الوصول إلى الله متجنبّين العالم. إنهم لا يعتبرون روحانيتهم طريق حياة، بل استراتيجية محيطة موجّهة إلى تجنّب صعوباتهم التي تلازم حياة الإنسان".

أنْسِلْم غرون

الفصل الخامس

" ما جمعه الله فلا يفرقنّه الإنسان" (متى ١٩/٦)

معاً للأبد، الأمانة

شهادات

"جعلنا من الأزمات فرص تقدّم. حصلت أزمات، لكنّها كانت حالات نضوج، رافقها جهد وزهد، مرّة عند الواحد، ومرّة عند الآخر. من المهم، في الظروف الشاقة، أن يكون واحد عنصر الخلاص".

"ليست الأمانة ثِقلاً، بل هي فرح عظيم: أن يعلم الواحد بأنه فريد لفريده".

"تلك التجربة هي فينا، وهي جزء منا. وإن اعتقدنا بأننا نستطيع أن نتخلّص منها، فذلك يعني أننا نحلم. علينا أن نقبل بأن نكون كائنات شهوة. التجربة هي بشرية، فلا يجوز أن تُشعرنا بالإثم، لأننا لا نستطيع أن نتجنبها، وعلينا أن نعترف بأننا خاطئون، وأن لا نعتقد بأننا فوق كل شيء".

"يجب أن تحلّل الأزمات بأكثر عمق ممكن، حتى إن استحال ذلك في أثناء الأزمة، فإن شيئاً من الرجوع إلى الوراء يمكّن من حفظ نسبية الأمور. بالمقابل، لا بدّ من الاقتناع بأن الزَّوجَين اللذين يخرجان من الأزمة يخرجان مرفوعَي الشأن. إنهما لا ينطلقان من الصفر، بل من أعلى منه بكثير، لأن مجرّد تغلبهما على المحن ايجابياً هو دليل على الأمل في المحن اللاحقة".

"لا ترقدا من دون أن يغفر الواحد للآخر".

"إن لم تكونا مؤيّدين المغفرة والمصالحة، لن تبقيا متحدين بعد شهر العسل. وإن ثبُتَ أنه في جميع مراحل الحياة الزَّوجِيّة، لن تَخْلُ فرصة المغفرة والمصالحة، فإنه على جانب من الأهمية، في بدء الحياة الزَّوجِيّة، أن تُحسنا استخدامهما".

مواد للتفكير

معاً للأبد

" إن الحب الحقيقي لا يدوم يوماً فقط، بل دائماً أبدًا. هذا ما كتبه شارل فرديناند راموز. وفي الكتاب المقدّس، وردت هذه العبارة:" الرحمة والحق يسيران معاً" (مز ٨٩).

خلافاً لهذه الأقوال، فإن كل شيء يدفعنا إلى أن نرى، في عالمنا، أنه من غير المعقول أن نؤمن بثبات العلاقات بين البشر. فهل الأمانة هي نعمة تُمنَح، أو محنة تفوق قدرة البشر، أو مثل أعلى صعب المنال، أو رغبة يتقاسمها الناس، أو قرار رزين؟

وهكذا، فإن الإحصائيات التي تحت اليد تفيدنا بأن زوجين من أصل ستة تقريباً مكتوب لهما الفشل، كما أن الاختصاصيين في علم الوراثة يفيدوننا بأنهم إن وجدوا في التراث البشري ميلاً فطرياً إلى العشق، فإنهم لا يجدون أيّ مستند للأنبياء بدوام هذا العشق، أو أيّ مدّة يستطيع العشاق أن يبقوا معاً.

وإن استندنا إلى علم النفس المقارَن، قد يبدو أمراً طبيعياً عند الرجال وعند النساء أيضاً، أن يضع الزوج مسافة من شريكه في بعض الأوقات، وان يخونه في بعض الظروف. أفيكون هناك أمر يخالف الطبيعة، عند شخصين اختارا الواحد الآخر بحرية، أن يبقيا أمينين حتى يفرّقهما الموت؟ إن قوانين الطبيعة ليست قوانين حتمية تتحكم في تصرفاتنا. إن انسجم الإنسان بلا مشقة مع بيئته، يبقى تصرّفُه مرِناً، فإنه يجد في تصرّفه أدوية لينسج قصّته ويضفي معنى على العلاقات والتبادل. إن أراد الإنسان أن يكون أميناً، وجب عليه أن يعزم على أن يبقى ثابتاً. فإن الإرادة تقوم بدور رئيسي في الدينامية الخاصة بالأمانة.

أمين هو الذي يفي بتعهداته ويُظهر تمسّكاً ثابتاً. أمين هو الذي لا يقيم علاقات جنسية إلا مع شريكه. إن الحداثة لا تشجّع نظام الزوج الواحد ولا الأمانة، لأنها لا تقدّر الرباط والدوام، نرى أن شخصين تقاربا وأعجبا بالعواطف الرقيقة الجديدة التي شعرا بها الواحد للآخر يرغبان في أن تطول هذه الحالة كثيراً. وهما يعدان بالأمانة الواحد للآخر طوال حياتهما. إن ذلك التواعد يحاول أن يسدّ الفراغ الذي ينتج من الفرق المحتّم الذي يفصل دائماً بين العشاق. هذا هو سرَ كل علاقة بشرية. ولكن من هو العاشق الذي لا يقتنع في صميم قلبه بأن العواطف القوية التي يشعر بها نحو الآخر ستصمد لقرض الزمن، فتؤمن الدوام؟

إن توتّر الحياة، الذي يثير شهوتنا ويغذي انتظارنا ومخيّلتنا، قد يكون للأسف، مصدر خيبة أمل. فإن التناغم عند الزَّوجَين يقرضه الزمن والشكوك: ذلك بأن الاختبارات الغرامية والبالغة مع الآخر تتناقص يوماً بعد يوم، وما من أحد يستطيع أن يرتاح في الاقتناع بأن الشريك يبقى له لمدى الأيام. وانطلاقاً من إثبات الحالة المخيّبة هذه، يتساءل هل هو لم يرتكب خطأً في اختيار الشريك.

لا يسلّمنا العلم أدوية سهلة لنصوغ علاقات ثابتة وخصيبة. ومع ذلك، فإن التحقيقات تكشف لنا أن أكثرية الأزواج الساحقة يرضون عن حياتهم المشتركة بالرغم من نقائص تصرفهم الجنسي. إن الشاعر غارسيا ماركيز يضع على لسان أحد أشخاصه في "الحب في زمن الكوليرا: "لا تنسَ أبدا أن الأهم عند

الزَّوجَين ليس هو السعادة، بل الثبات". فإن الثبات هو عامل له منزلة حسنة في سلّم المقاييس الضرورية لنجاح حياة الزَّوجَين.

من صفات الأمانة التجديد

عند الأزواج المغامرين، فإن الرغبة الشديدة في الدوام والإيمان يصوغان الرغبة في إضفاء المعنى على علاقة، وفي ابتكار نمط حياة جديد، وفي تأليف قصة لها صلة بالماضي، وفي انتباه إلى الحاضر، وفي سهر على المستقبل. وبما أني على يقين بأن الآخر وحده يستطيع أن يجعلني سعيداً، وبأنه إذاً يمثل السعادة لي، فهل يبقى هناك أدنى شك في كفاءتي ووسائلي لتلبية رغبته، لكي أريد خيره من صميم كياني؟

لكن نسبة التردّد المرتبط بميثاق التضامن هذا وبتعهّد الأمانة قد يفتح الباب أيضاً، مع الأسف، للخيانة، إن لم يُحسِن التبادل عند الزَّوجَين تجنُّب تلك التوترات التي تنتج من التنازع بين الشهوة والحقيقة.

إن الأمانة الزَّوجِيّة،" بالرغم من جميع العقبات"، هي بُعد أساسي من أبعاد البشرية. كثيرة هي أماكن الأمانة: الدين، والعائلة، والصداقة، والالتزامات... منذ أيام هوميرس، يُنشدها الشعراء في أماكن عالمنا كلها، فإنها تهزّ القلوب وتسيل الدموع. وهي موجّهة إلى جميع الأجيال، ولكنها لا تُفصَل عن الحب.

إذا صحّ أن المُعجَم يصف الأمانة بأنها صفة تطبّق على الوفاء بالالتزام، فإن الوجه الذي يهمّنا هنا هو شهادة أشخاص يفون بوعودهم ويحترمون التزاماتهم نحو الشريك حتى حدود الممكن. فنكتشف عندئذ قوة تلك الأمانة التي هي قوة الإيمان نفسها. إن ترجمة كلمة إيمان باللاتينية هي: الإيمان بالرباط، والإيمان بالآخر، وعند المؤمن، الانفتاح على التعالي والحق والأبد: الله.

ليست الأمانة في أزمة، بل هي نفسها أزمة، لأنها، بلا انقطاع وفي كل لحظة، ترغمنا على أن نحافظ على قرار اتّخذ في اندفاع البدايات، وأن نكرّر وعداً زعزعته أناشيد عرائس البحر الرخيمة، وان نكرّر وعدًا طمره النسيان. ليست الأمانة ولا عدم الأمانة قضاءً وقدراً. فإن الأمانة تُبنى يوماً بعد يوم، بفضل المواظبة والنشاط. فهل نحن مستعدّون لدفع هذا الثمن لبناء مثل أعلى يُبنى عليه تاريخ جماعاتنا ومستقبلنا كزوجين؟

يقوم بناء الأمانة عند الزَّوجَين على أربع ركائز:

- الأمانة والثقة يسيران معاً: إن أقامة علاقة ثقة مع أحد الناس هي طريقة يُنسَب بها إلى الآخر ما يعود إليه من الأهمية، ويقال له: أنت شخص، ولا غرض قابل للتبادل والتلاعب بحسب انفعالاتي

ورغباتي وغرائزي. فإنك تستحق الاعتبار والاحترام. والأمانة تفترض عقد اتّفاق سابقاً وتصريحاً عن قصد وائتمان. ولكي نثق بأحد الناس، لا بدّ أن نعرفه معرفة حقيقية: لا بدّ أن نقدر على الثقة بالحبيب:" لا يكون الحبّ الحقيقي حبّ يوم واحد... لم يكن عندنا أيّ شيء لنبتدئ، بل كان علينا أن نعمل كل شيء". نحتاج إلى القيام بشيء من الجهد لكي نحافظ على رابط ونحترم وعداً قطعناه. نجد مساعدة في جهودنا بفضل السعادة التي يولّدها فينا الحنان والتواطؤ مع الآخر الذي هو كائن بلحمه وشحمه. ليست المحافظة على الرابط تمسّكاً بالنفس، وموقفاً أخلاقياً يفرضه العقل علينا، بل هي تجسّد عقد حياتي، ولا بدّ أن يُعاد النظر فيه وان يُصحّح ويُستأنف في كلّ يوم، آخذين بعين الاعتبار عوائق الحياة اليومية.

- الأمانة تنتشر مع الأيام: قد يُفسّر ذلك بأنه تحدّ موجّه إلى الزمن. إن الزمن لا يعود إلى الوراء، وليس هو نهراً هادئاً طويلاً. ما أكثر الوسائل التي يجب استخدامها للانتقال من الخيال إلى الحقيقة، ومن الحنين إلى الماضي إلى توقعات المستقبل! إن الزمن هو فرصة سانحة لبناء علاقة، وهو يمكّن الحياة من أن تكون خلاّقة. إن الزمن ليس استنزافاً فقط، بل هو اندفاع حيوي أيضا. أمّا الحب فإنه هو الذي ينضج بوجه خاص، وقد يتحسّن كالخمر. والتناغم الذي يترسّخ مع الأيام، فإنه اقلّ حرارة وأقلّ غراماً كتناغم البداية، ولكنه يصبح أكثر واقعية. لا يبقى أحد الزَّوجَين يحمل وحده الخطر الدائم الذي يلازم تلك العلاقة اللامعقولة التي تقبل بأن يسلّم نفسه إلى الآخر وان يهب له ما هو أعزّ شيء عنده، أي هو نفسه. لكن الخطر لا يبقى منفرداً، لأن الأمانة تُعاش مع الآخر، وهي تؤدي إلى اكتشاف النفس والآخر الذي يصبح أقرب الأشخاص. وأياً كان المستقبل الذي تخيّلناه، فإنه لا يتحقّق أبداً من دون أن يخيّب أملنا سراً. تحتاج الأمانة بلا انقطاع إلى كلمات ليعبّر عنها وتُقاسَم وتُبنى وتُصلَح، على مثال الحنان.

- الأمانة تمرّ بالمغفرة: بالحوار والإصغاء باحترام، يجب أن نستكشف الأفراح والمحن، والخيانات وخيبات الأمل التي يُخشى أن توصل إلى زوال الغرور. أحياناً ما تُسمَع نداءات التجربة المتكتّمة: لماذا يجب التخلّي؟ فإن الحوار لا يُستغنى عنه في إقامة علاقة، في حين أن الصمت هو وخيم لها. حين تبرز الاختلافات الهامّة وتُحدث قطائع أو خيانات، فإن الأمانة البشرية السريعة العطب تستلزم أن تُحاط باللياقة والعناية. فإنها غير مطبوعة في جيناتنا. يمكننا أن نتعلّم بالحرف الواحد وخطوة "فخطوة" أن يجتاز في الصبر تلك النقاط الغامضة، حين أصبحنا لا نشعر بشيء ولا نفهم أي شيء. كل خطأ يمكن أن يُغفر، شرط أن تريد ذلك. فإن المغفرة هي في صميم المغامرة الزَّوجِيّة، ويجب علينا، فوق النزاعات، أن نؤمن بإمكانية المصالحة. إن كان احد يحبّ حقاً، فإنه يميل إلى المغفرة.

إن مدّ اليد والانقياد باليد، ذلك هو سرّ المغفرة، وهي ليست استسلاماً، بل مصدر خِصب وحرية. إن المغفرة تُعيد السلام، في حين أن المغفرة المرفوضة تضيّق الأنفاس.

- الأمانة فنّ حياتي: ليست تمريناً ترويضياً. لا بدّ من أن نشدّد على الاتّحاد الجنسي، الذي هو رصين وخفيف في آن واحد، وان نحمل على محمل الجدّ جاذبية الحواس ووجوهها المجانية والشِعرية، لا بل الفوضوية. لا يمكن بعد اليوم أن نغضّ النظر عن دور اللذة الجنسية الإيجابي، التي يَطلب منّا أن نبني عليها ثبات الحياة الزَّوجِيّة والتي لا يجوز أن نخنقها تحت ثقل القواعد الأخلاقية. يجب أن تكون الأمانة إبداعية، فلا يجوز أن تُمسي روتينية ومملّة. فالزوجان هما مدعوّان دائماً إلى إصلاح حياتهما المشتركة بحسب معالم جديدة، وإلى تنمية لذّة وجودهما معاً، فيكفي قليل من كلمات الحنان وحركاته لتلبية توقّعات الآخر. لكن ذلك يفترض استعداداً دائماً وتطلباً شخصياً ومتبادلاً كبيراً. وحين يسير كل شيء على ما يرام فتزول كل رغبة في الانفصال، يجب القدرة على احتمال الانفصال، والتنقّل في مجالات مختلفة، وابتكار أماكن عزلة ممكنة. فعلى كل واحد أن يجد مجاله الباطني والقدرة على الإقامة فيه وتنميته، وهذا ما يُفترض أن يحترم أيضاً حديقة الآخر الحميمة، وان لا يدخل عليه عنوةً. يحاول الحب أن ينفذ إلى أسرار الحبيب الحميمة، ولكن الحب الصحيح يسيّج أسرار عزلة الحبيب ويمكّنه من حفظها لنفسه.

ونختم:

الأمانة هي مسلك مسؤول يومي يلفتنا إلى اللامحدود، فاتحاً إيّانا على قصة غير منتظرة. ذلك النداء هو دعوة العطاء والنيل، وهو يوصلنا إلى أسئلة نعلم بأنها حيوية، إلى تحدّ حافل بالأخطار لتردّي الزمن. ليست الأمانة كلمة، بل هي إشارة. قد تستند أمانتنا بيقين إلى أمانة الله. الأمانة هي نعت هام لله، وهي شريكة صلاحه الأبوي: فإنه"صخرة" إسرائيل، وهو اسم يرمز إلى أمانته التي لا تتغير، وصدق أقواله، ومتانة مواعده. وبواسطة سرّ الزواج، يكرّس الله أمانتنا الزَّوجِيّة عبر "النعم" الذي يُلحِقنا في الدوام.

أليس من العجب أن نؤكد ذلك، بعد أن اختبرنا صمت الله، في العذاب والشدّة؟ أين هو الله في الإخفاق؟ يوحى لنا بذلك وحياً تاماً في يسوع المسيح، علماً بأن آلامه ليست فقط الاشتراك في مِثل اختبار التخلي ذلك، بل هي التي تضفي معنى، جاعلة منه طريق قيامة. ففي يسوع المسيح تظهر أمانة الله، وهي تذهب إلى ما أبعد من جميع مواعد العهد. إنها علامة تشير، مُظهِرة للناس حب المسيح لكنيسته. فإن أمانة الله تنادي أمانتنا، وهي تدعونا إلى أن نكون منتبهين إلى حضوره، لا لننسى حضور كائن محبوب،

بل لنرتفع إلى مصدر ذلك الحب. " لتكن قلوبنا، في حضن تقلّبات العالم، متحدّقة إلى حيث هي الأفراح الصحيحة".

أسئلة

للتحاور بين الزَّوجَين:

- ❖ أياً كانت صورة أمانتنا حين تزوجنا؟
- ❖ أيّ وجوه من حياتنا غيّرت تلك الصورة؟
- ❖ الأمانة هي فنّ حياتي: ماذا نعمل كل واحد، كزوجين، لنجعل أمانتنا خلاّ قة؟

للتحاور في الفرقة:

- ❖ ما هي الأمكنة التي نُدعى فيها إلى ان نكون شاهدين لأمانتنا؟
- ❖ كيف نكون علامة لسعادتنا بأن نكون أمينين في ثقافة لا تشجّع الأمانة؟
- ❖ بأيّ شيء تكون حياتنا في فرقة من فرق السيدة عوناً لعيش الأمانة بصفتنا زوجين؟
- ❖ بأيّ شيء يساعدنا سرّ زواجنا على ان نعيش الأمانة يوماً بعد يوم؟

صلاة

نص للصلاة (أف ٤/١-١٣)

"فأناشدكم إذاً، أنا السجين في البر، أن تسيروا سيرة تليق بالدعوة التي دُعيتم إليها، سيرة ملؤها التواضع والوداعة والصبر، محتملين بعضكم بعضاً في المحبّة ومجتهدين في المحافظة على وحدة الروح برباط السلام. فهناك جسد واحد وروح واحد، كما أنكم دُعيتم دعوة رجاؤها واحد. وهناك رب واحد وإيمان واحد ومعمودية واحدة، وإله واحد أب لجميع الخلق وفوقهم جميعاً، يعمل بهم جميعاً وهو فيهم جميعاً.

كل واحد منّا أُعطي نصيبه من النعمة على مقدار هبة المسيح. فقد ورد في الكتاب:

"صعد إلى العلى فأخذ أسرى وأعطى الناس العطايا"

وما المراد بقوله "صعد" سوى أنه نزل أيضاً إلى أسافل الأرض؟ فذاك الذي نزل هو نفسه الذي صعد إلى ما فوق السماوات كلها ليملأ كل شيء، وهو الذي أعطى بعضهم أن يكونوا رسلاً وبعضهم أنبياء وبعضهم مبشرين وبعضهم رعاة ومعلمين، ليجعل القديسين أهلاً للقيام بالخدمة لبناء جسد المسيح، فنصل بأجمعنا إلى وحدة الإيمان بابن الله ومعرفته ونصير الإنسان الراشد ونبلغ القامة التي توافق كمال المسيح.

نصوص مرافقة

نصوص كتابية:

وحيدة هي حمامتي.

الملكات ستّون والسراري ثمانون والأبكار لا عدد لهنّ.

لكنّ حمامتي كاملتي وحيدة هي وحيدة لأمّها، مفضّلة لوالدتها.

رأتها البنات فهنأنها، رأتها الملكات والسراري وأَثنينَ عليها.

من هذه المشرفة كالصبح، الجميلة كالقمر،

المختارة كالشمس، المرهوبة كصوفٍ تحت الرايات؟ (نش ٦/٨-١٠)

" لا تغدر بامرأة صباك" (ملا ٢/١٥)

" إفرح بامرأة حداثتك. لتكن لك أيّلة نعمة ووعلة نعمة،

يرويك ثدياها كل حين، وبحبّها تهيم على الدوام." (مثل ٥/١٨-١٩)

" للأبد أحفظ له رحمتي وأبقى معه أميناً لعهدي.. ولا أغيّر ما خرج من شفتي"

(مز ٨٩/٢٩-٣٦)

"وأخطبك لي للأبد، أخطبك بالبرّ والحق والرأفة والمراحم، فأخطبك لي بالأمانة فتعرفين الربّ"

(هو ٢/٢١-٢٢)

نصوص أخرى

- الثقة المتبادلة:

"هناك شرط ضروري على الإطلاق، وهو الثقة المتبادلة، التامّة، بلا قيد ولا شرط. فإن الثقة تستدعي الثقة، كما الحذر. إن الثقة ترتكز على دينامية. والثقة هي جذّابة. لا شك أن التفاهم الجنسي هو ضروري على الإطلاق للثقة المتبادلة، لكنه لا يكفي. وإذا صحّ أن المعانقة يجب أن تكون محادثة، فإن المحادثة يجب أن تكون معانقة. وهذا ما يفترض أن يتخلّى الإنسان عن وهم الانصهار الخَطِر. وان علّل الإنسان نفسه بهذا الحلم، فإمّا الواحد يسيطر على الآخر ويسحقه، وإمّا يجرّ إثبات الحالة إلى الطلاق.

– **أيتها المرأة، هل تذكرين؟**

لم يكن عندنا شيء حين انطلقنا، بل كان علينا أن نعمل كل شيء. انطلقنا، ولكن كان كل شيء صعباً. كنّا في حاجة إلى الشجاعة وإلى الثبات، في حاجة إلى الحب، وليس هو الحب ما كنّا نظنّه حين انطلقنا. ليس هو فقط القبلات التي نتبادلها، وتلك الكلمات الصغيرة التي نهمسها في الأذن. إن زمن الحياة هو طويل، ويوم الأعراس هو يوم واحد. ثم بعد ذلك فقط ابتدأت الحياة. يجب أن نعمل، لأن كل شيء متفكّك، ويجب أن نعمل مرة أخرى، لأن كل شيء متفكّك. الأولاد يأتون، فيجب أن نغذيهم ، أن نكسوهم، أن نربيهم. فالأشياء لا تنتهي، وقد يكونوا مرضى. أنت كنتِ واقفة طوال الليل، وأنا كنتُ أعمل من الصباح إلى المساء فكنّا نقطع الأمل أحياناً، وكانت السنوات تتتابع وكنّا لا نتقدّم. فيبدو أننا نعود إلى الوراء. هل تذكرين، يا امرأتي، أو ماذا؟ جميع تلك الهموم، وجميع تلك المتاعب. لكنك كنتِ هنا. وبقينا أمينَين الواحد للآخر، فاستطعت أن استند إليك، وأنت كنتِ تستندين إلي. من حسن حظّنا، كنّا معاً ، فقد أكببنا على العمل، ودُمنا، وتغلّبنا على المصاعب. إن الحب الحقيقي ليس ما يظنّ الناس. إن الحب الحقيقي ليس حبّ يوم واحد، بل حب دائم.

– **عهد الحب:** رأي البابا يوحنا بولس الثاني في شؤون الجنس، في الزواج والعائلة في العام الحديث.

"إن الهبة التي يقدّمها رجل وامرأة في الزواج يجب أن تكون غير قابلة للفسخ، ما دام الاثنان على قيد الحياة. إنهما يستسلمان الواحد للآخر وينالان، بالمقابل، هبة الآخر. وبعد أن تُمنح الهبة، لا يجوز أن تنسحب. وبعد أن تُقبل الهبة، لا يجوز أبدا أن تُرفض. كما يشدّد عليه الإرشاد "في واجبات العائلة المسيحية في عالم اليوم"، فإن عدم قبول فسخ الزواج... هو العلامة والشرط للحب الأمين الذي يكنّه الله للإنسان والذي يظهره الرب يسوع لكنيسته"(رقم٢٠). وبعبارة أخرى، يتميّز حب الله دائماً بأمانة تامة. والحب البشري، لأنه انعكاس حب الله، يجب أن يكون أميناً للأبد. إن الله أمين دائماً في حبّه، لأن كل نقص فيه لا يكون هبة كاملة منه. فإن الهبة، حين تكون تامة، لا تكون محدودة، في الدرجات أو في الزمن!

– يقول الله: هذا ما يُدهشني دائماً

" يقول الله:هذا ما يدهشني دائماً!

أن اسمع الناس يقولون: نحن متزوجون! كما لو كان الناس يتزوجون في يوم من الأيام! دعوني أضحك كما لو كان الناس يتزوجون مرّة واحدة فقط. إنهم يظنون أن ذلك حصل، وأنهم يستطيعون أن يعيشوا، أن يعيشوا من دَخلهم من الحب بصفتهم متزوجين. كما لو كان الناس يتزوجون في أحد الأيام، مرة واحدة فقط كما لو كنت أنا قد خلقت العالم في يوم واحد: كما لو لم يكن من الواجب، مهما كلّف الأمر، وبفضل تفكير سليم، تزوجوا في جميع الأيام التي أخلقها. إن الناس لا يشكّون في أيّ شيء حين كانا وحدهما عشرين سنة، الشاب وحده، والفتاة وحدها، من أصلين مختلفين، منذ أجيال وأجيال. ما أكثر الأشياء التي تُعطى وتُقبل، وما أكثر الأشياء التي تُقبل وتُعطى، يا أولادي!

شارل بيغي

الفصل السادس

" إن كلّ واحد منّا سيؤدي عن نفسه حساباً لله" (روم ١٤/١٢)

الضمير

شهادات

"تظهر لنا الكنيسة منارة مشيّدة في عرض البحر، لكي تضيء لنا وتُرشد ضمائرنا التي تبحث عمّا هو حسن للإنسان".

"إن الكنيسة هي خبيرة في ما يختص بمعرفة الإنسان، إنها معلّمة في الطبيعة البشرية".

"ليست الكنيسة صارمة أكثر من اللازم، فإن الإنسان يحتاج إلى مرشدين وإلى تطلّب. إنها تضع الدقّة عالياً جداً، ولكن ذلك لا يُعتبر صرامة. وهي تستخدم لغة الحب، لأنها تريد أن تحافظ على الحب والإنجاب واحترام الآخر."

"في عالمنا المتساهل أكثر من اللازم، من المهمّ أن نُظهر أن الكنيسة لا تفرض محرّمات، بل تريد أن تحقق رفع المستوى البشري عند جميع الناس وعند الزَّوجَين بوجه خاص".

"إن الخضوع الدقيق لتعليم الكنيسة (على ما ورد في الرسالة البابوية "الحياة البشرية") كان بالنسبة إلى أعضاء فرقتنا (بلغ سنّهم حالياً أكثر من ٤٥ سنة)، سبب قلق ومشاكل ضمير، في بعض الحالات، ابتعاداً موقّعاً عن أسرار الكنيسة. في ما يختص ببعض الأزواج الذين نعرفهم، فإن تطبيق تلك المقاييس الدقيق طرح مشاكل عويصة".

"إن تأهيل الضمير السليم لا يتمّ" في مرّة واحدة"، بل لا بدّ من موقف دائم من البحث، لكي يصبح نمط حياة. ولا بدّ أيضاً من الاستعداد للتغيير... لا يمكن أن "نوحّد" الضمير، لأنه يختص بكل واحد من الأفراد، وفي الزواج، بالزَّوجَين. قد يكون هناك أزواج مختلفون، قد استعدوا بروح الحقيقة نفسه، وقد تكون، مع ذلك، تصرّفاتهم مختلفة وقراراتهم، أمام المشاكل نفسها، مختلفة".

مواد للتفكير:

الضمير: هوان نعرف مع الله ما يعرفه الإنسان عن معرفة الله نفسها. العمل بحسب الضمير؟ كثيراً ما يبرز هذا السؤال، حين نواجّه مع موقف يبدو فيه أن مصلحتنا الشخصية تعارض توصيات سلطة الكنيسة المعلّمة. إليكم بعض الأمثال:

ماذا يجب علينا أن نعمل؟

- نريد من كلّ قلبينا أن يكون لنا ولد منذ سنين طويلة، لكن الطبيعة ترفضه لنا. فهل نلجأ إلى الفيفيت، مع العلم بأن سلطة الكنيسة تعارض هذا الحل؟
- "ضميرنا مرتاح"، فإننا نراعي طرق المراقبة الذاتية التي تشيد بها الكنيسة، ولكن ليس عندنا إلاّ ولدان، مع أنه لا يصعب علينا أن يكون عندنا أكثر من ذلك.
- عندنا أربعة أولاد، وزوجتي لا تتمتع بصحة جيدة، فلا نستطيع أن نفكر في مولد آخر. إن أساليب المراقبة الذاتية لا تبدو آمنة بما يكفي. فهل يحلّ لها أن تأخذ حبة لمدة محدودة؟
- هل أستخدم واقياً في أثناء الأزمنة الخصيبة، أم أفضل التوقف عن الاتّحاد الجنسي؟
- وإليكم حالتين قد تبدوان حدّاً أقصى، مع أنهما طُرحتا في الواقع:

– إن ابنتي المُغْلِية تحب شاباً مُغْلياً هو أيضاً: هذا الحب يفرحهما جداً ولكنهما غير قادرين على تربية ولد. فهل يجب أن نشير عليهما بطريقة منع الحَبَل "غير مشروعة"؟

– أنا وامرأتي(٢٥ سنة) قد اكتشفنا، بعد ميلاد مولود ميت غير طبيعي إلى أقصى حدّ، أن فحص رأسمالنا الوراثي يعطينا فرصتين على ثلاث فرص لإنجاب أولاد معاقين إلى حدّ بعيد. لكننا نريد أولاداً. فهل نقبل رأي طبيبنا الذي يشير علينا بإجهاض علاجي في حال وجود شذوذ بالغ يُكتَشَف بالتصوير؟ وإلاّ، ما العمل؟

لنحاول أن نرى بوضوح أفضل

إن الأسطر التالية لا تعطينا أجوبة جاهزة، بل "وجهة نظر" يُنتظر منها أن تساعد كل واحد على أن يتعلّم كيف يقرّر في حالته الخاصة والفريدة. لن نتكلّم هنا عن الشعور النفسي الذي يشابه مجرّد المعرفة، بل على الضمير الأخلاقي الذي يتجاوز مجرّد المعرفة، مضفياً عليها الخير أو الشر التي تستلزمنا شخصياً.

في البيان "الكرامة البشرية" الذي أصدره المجمع الفاتيكاني الثاني(رقم ٣ ب)، ورد ما يلي: "لا يشعر الإنسان بأوامر الشريعة الإلهية إلاّ بواسطة ضميره، فهو الذي يجب أن يتبعه بأمانة في جميع نشاطاته للوصول إلى غايته التي هي الله. فلا يجوز أن يُرغَم على العمل بمخالفة ضميره، لكنه لا يجوز أن يُمنع بالعمل حسب ضميره". نلاحظ هنا أن الكنيسة لا تنفرد في الاهتمام بالضمير. ففي السنة ١٩٤٨، نرى

أن البيان الشامل لحقوق الإنسان، في الرقم ١٨، يؤكّد أن " كل شخص له الحق في حرية التفكير والضمير والدين."

وفي دستور "الفرح والرجاء"، الذي أصدره المجمع الفاتيكاني الثاني، نجد شرحاً موسّعاً في الضمير الذي سيكون السلك الذي يقود تفكيرنا:

١- يكتشف الإنسان، في أعماق ضميره، شريعة لم يفرضها هو على نفسه، بل عليه أن يخضع لها. ذلك الصوت الذي لا ينقطع عن حثه على أن يحب وينجز الخير ويتجنّب الشر في الوقت المناسب يرنّ في صميم قلبه: "إعمل هذا ... تجنّب ذلك..." انه شريعة كتبها الله في قلب الإنسان، وكرامته هي أن يطيعها، وهي التي ستدينه.

٢- الضمير هو مركز الإنسان الأكثر سرّيّة، قدس الأقداس حيث هو وحده مع الله، وحيث يُسمع صوته.

٣- إن تلك الشريعة التي تتمّ في محبة الله والقريب تنكشف للضمير بشكل رائع.

٤- إن المسيحيِّين، المتّحدين بسائر الناس، يجب عليهم، بأمانتهم للضمير، أن يبحثوا معاً عن الحقيقة وعن الحل العادل للعديد من المشاكل الأخلاقية التي تثيرها الحياة الخاصة والحياة الاجتماعية. بقدر ما يتغلّب الضمير المستقيم، يبتعد الأشخاص والمجموعات عن قرار أعمى ويميلون إلى الخضوع لما في الأخلاقية من مقاييس موضوعية.

٥- ومع ذلك، فإنه كثيراً ما نرى الضمير يتيه، بسبب جهل لا يمكن التغلّب عليه، من دون أن يفقد كرامته.

٦- وهذا ما لا نستطيع أن نقوله، حين يهتمّ الإنسان قليلاً بالبحث عن الصدق والخير، وحين يكاد ان يجعل تعوّد الخطيئة ضميره أعمى شيئاً فشيئاً.

سنحلّل تلك الفقرات الستّ:

في الفقرة ١، نلاحظ نقطتين مهمّتين: الشريعة كتبها الله في قلب الإنسان، والله الذي هو في باطننا والذي يُشبك ما هو بعيد إلى أقصى حدّ وما هو قريب إلى أقصى حدّ، ومن واجبنا أن نطيعه. فإن ذلك الصوت لا ينقطع عن حثنا على أن نحب وننجز الخير وان نتجنّب الشر، ولا بدّ أن تتم هذه الطاعة من دون أن نرى هل يطابق ذلك الصوت أولا يطابق أحد المقاييس الخارجية. وكثيراً ما يشبّه الضمير بالبوصلة. إن هذا الشبه صحيح: فعلى البحّار أن يخضع للبوصلة، ولا يحق له أن يختار شمالاً آخر، لأن السفينة التي تعدّ نفسها نقطة معلّم تتيه.

إن الفقرة الثانية، بتشبيه الضمير بقدس أقداس لا تُنتَهك حرمته، تشدّد على كرامة ضمير الإنسان. فإن قدس الأقداس هذا هو عليّة، محمية من كل تدخّل خارجي، حيث يعتزل الإنسان ليقرر مستقبله، وحيث يدخل وحده مع خالقه. وهناك ما هو أكثر من ذلك، فأن تلك الفقرة تحمل على الاعتقاد بأنه ما من أحد، في نهاية المطاف، يستطيع أن يقول عن آخر إنه لم يخضع لضميره أو تبعه. فالشخص وحده يمكنه أن يعرف هل استخدم كل ضميره، في مواقف لا تسيطر فيها جميع المعطيات...ومن هنا أهمية التنشئة والإصغاء، التي نتكلم عليها في الفقرة٣.

تشدّد الفقرة الثالثة على أهمية هذا" الاكتشاف": ذلك بأن الإصغاء إلى الشريعة الباطنية واستقبالها من قِبل الضمير يسيران" بطريقة رائعة". فهي الاستنارة باكتشاف أننا نشعر بأننا في انسجام مع التدبير الإلهي ومشيئة الله على حياتنا." يشعر الإنسان، في صميم نفسه، بإشعاع حقيقة الله في كيانه. هذه هي الشريعة، فهي ليست أولاً الشعور بتحريم خارج عنّا. وليست حقيقة باردة وغير شخصية، بل هي نور وجاذبية ووحي شخصي.

تشدّد الفقرة الرابعة على ضرورة تكوين "ضمير مستقيم". لا يدور الكلام على "وجدان" كما نسميه في اللغة المألوفة، على ما يكون رضىً رخيص لا يتطلّب كثيراً من التفكير، بل على بحث مرهف عن الخير الصحيح. في الحقيقة، "فإن الحصول على ضمير مستقيم هو أن يكون الإنسان مستقيماً مع ضميره". لا شك أن المقصود هو أن ينوّر الإنسان ضميره وان يكون مسؤولاً، لا أمام ضميره، بل "عن" ضميره. كتب الكاردينال بطرس ايت: " ليس الضمير قولاً نبوياً، بل عضواً يتدرّب ويتكوّن ويستنير وينمو ويُرهف".

إن الرسالة البابوية" تألّق الحقيقة"، التي أصدرها البابا يوحنا بولس الثاني، تدعو إلى تكوين الضمير وإلى جعله طريق اهتداء دائم إلى الحقيقة والخير". فإن البحث عن ضمير هو طريق اهتداء للحياة كلّها، ومن قال" طريق" قال أيضاً "سير" و"تقدّم"، و"تدرّج". فتنوير الضمير يمكن أن يُرشَد:

- عن طريق الأحداث(مع أن تفسيرها لا يبدو بسيطاً دائماً)
- عن طريق التفكير(تمرين العقل الذي يتثقف ويستدلّ ويبرهن بالدليل)
- عن طريق الصلاة والتقدّم من أسرار الكنيسة(الإفخارستيا والمصالحة)
- عن طريق سلطة الكنيسة المعلّمة،" ذاكرة الكنيسة التي تأوّن متطلّبات الرسل"(والمسيح إذاً). التي لا يُطلب إليها أن تضيف الشرائع، بل أن توضّح ما تعني محبة المسيح والسير في خطاه.

وأخيراً يتخّذ الضمير أحياناً وجه شخص. كتب الكاردينال نيومن: "إن طبيعتي تسمع صوت ضميري وكأنه شخص. وحين أطيعه، فأنا راض، وحين لا أطيعه، أشعر بأني حزين، تماماً كما حين أسّر أو لا أسّر صديقاً عزيزاً جداً عليّ [...]. الصدى يفترض صوتاً، والصوت يفترض أحداً يتكلَم، والذي يتكلّم هو الذي أحبّه وأوقّره".

والفقرتان الخامسة والسادسة تعرضان نمطين من "الضمير الخاطئ". هناك ضمير خاطئ واحد جدير بالاحترام: وهو الضمير الذي يضلّ على أثر جهل لا يمكن التغلّب عليه. فإن الجهل الذي لا يمكن التغلّب عليه هو جهل شخص مع أنه استخدم جميع الوسائل التي في متناوله للبحث عن الحقيقة (الصلاة والقراءات وتبادل وجهات النظر...) لم يتوصّل إلى أن يفهم سبب الموقف الأخلاقي الذي اقترحته الكنيسة. ومع أنه ما زال يصغي إلى كل الإمكانيات، رأى من واجب كل واحد أن يطيع ضميره في آخر الأمر، علماً بأن القديس توما الأكويني يجعل من طاعة الضمير واجباً تحت طائلة الخطيئة. فإن واجبنا هو، ولا شك، أن نذهب إلى حيث وجد ضميرنا الخير. هناك حكمة في اللاهوت المدرسي تذكّرنا بأنه لا يجوز لنا أن نختار قصداً ما يعتقده ضميرنا بأنه شرّ.

أما الفقرة السادسة فإنها تذكّرنا هي أيضاً بحقيقة الجهل، ولكن هذا الجهل هو ثمرة" ضمير كسلان". فإن الجهود الممكنة لم تتمّ. واحتبس الشخص في عدد من الأمور المؤكّدة والمريحة. فكان موقفه خطِراً. إن التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية لا يتردّد في القول بأن الجهل المتكلّف وتصلّب القلب لا تقلّل، بل تزيد صفة الخطيئة.

يجب أن تتركنا تلك الأفكار في الضمير في تمام الثقة والسكينة. كما ذكرنا في مطلع هذا الفصل، لا شك أن تلك الأفكار لا تأتينا بحلول جاهزة، ولكن إرادتنا الحسنة، مع نعمة الله وسند رحمته، تجعلنا نكتشف كيف نمارس" ضميراً مستقيماً"، فنستطيع عندئذ أن نطمح إلى "المثال الأعلى" الذي هوان يصبح صوت الله باطنياً ويعمل فينا وكأنه ديناميتنا الخاصة".

أسئلة

للتحاور بين الزَّوجَين:

- ❖ لنتحاور في مشكلة ساعدنا ضميرنا على حلّها. كيف أنرنا ضميرنا؟
- ❖ ماذا ننتظر الواحد من الآخر لنتساعد على تمرين ضميرنا؟ هل يشعر ضميري بأنه معنيّ بازدهار شريكي وبرغبته ورغبتي وباشمئزازاته واشمئزازاتي؟
- ❖ في أيّ مجالات لنا ضمير بصفتنا زوجين؟

للتحاور في الفرقة:

- ❖ ما هي الوسائل التي نجدها في الفرقة، وفي الكنيسة، لتغذي ضميرنا؟ كيف نستخدمها؟
- ❖ ما هي أمور سلطة الكنيسة المعلّمة التي تعوقنا؟ لنشرح لماذا. هل نرفض تلك الأمور في حدّ ذاتها أم فقط بعلاقتها بنا نحن الزَّوجَين؟
- ❖ في أيّ شيء يستطيع هذا التفكير في الضمير أن يساعدنا على التنقّل من موقف الطاعة السلبية أو الرفض إلى موقف التملّك الشخصي لتعاليم سلطة الكنيسة المعلّمة؟

<u>صلاة</u>

نص للصلاة (يو٣/ ٤-٨)

" قال له نيقوديمس:" كيف يمكن الإنسان أن يولد وهو شيخ كبير؟ أيستطيع أن يعود إلى بطن أمّه ويولد؟" أجاب يسوع: "الحق الحق أقول لك: ما من أحد يمكنه أن يدخل ملكوت الله إلاّ إذا وُلد من الماء والروح. فمولود الجسد يكون جسداً ومولود الروح يكون روحاً. لا تعجب من قولي لك: يجب عليكم أن تولدوا من علُ. فالريح تهبّ حيث تشاء، فتسمع صوتها، ولكنّك لا تدري من أين تأتي وإلى أين تذهب".

نصوص مرافقة:

إجعلني كخاتم على قلبك، كخاتم على ذراعك،

فإن الحبّ قويّ كالموت، والهوى قاس كمثوى الأموات.

سهامه سهام نار، ولهيب الربّ.

المياه الغزيرة لا تستطيع أن تطفئ الحب، والأنهار لا تغمره.

ولو بدل الإنسان كل مال بيته في سبيل الحب لاحتُقر احتقارا"

(نش ٨/٦-٧)

الضمير

" إن الضمير هو أعمق وأسرّ نواة الإنسان، وهناك يلجأ مع القوى الروحية في عزلة مطلقة، وحده مع ذاته، أو بالأحرى، وحده مع الله الذي يُسمع صوته. هناك يقرّر للخير وللشر. وهناك يختار بين طريق النصر وطريق الهزيمة. حتى لو شاء الإنسان، لن ينجح في التخلّص منه. مع الضمير، سواء أوافق الإنسان أو استنكر، سيجوب طريق الحياة، ومعه أيضاً سيمثل في دينونة الله، شاهداً مميّزاً وصادقاً لا يرتشي.

فالضمير هو، بحسب صورة قديمة ولكنها صحيحة، قدس أقداس يجب على جميع الناس أن يتوقفوا: جميعهم، حتى الأب، حتى الأم، إن دار الكلام على ولد لأن الكاهن وحده يدخله بصفته طبيباً للنفوس وخلافاً لسرّ المصالحة. لكن الضمير لا يزال أن يكون قدس أقداس محروساً بعناية قصوى، ويريد الله نفسه أن يُحفظ سرّه مختوماً بأقدس صمت".

البابا بيوس الثاني عشر

التجاسر على الحرية

إذا كانت السلطة تعني سوء استعمال القدرة، فعلى ذلك الإنسان أن يصمت. وإذا كانت السلطة تعني الطاغية، وجب إرغامه على السكوت. ولكن الذي يجرؤ على مناداة الإنسان والذي يجرؤ على قول الحقيقة، لا يُفرط في استغلال القدرة. إذا كانت أسلحته الحب والحنان، وإذا كان جنوده الذين يخدمونه وحدهم مجرّد خاطئين، من عامة الشعب، فلا يجوز أن نقول إنه طاغية. إن الذي يتحدّث إلى أهل هذا الزمن، فإنه يناشد حريّة كل واحد. فيقول:" عندكم ضمير..." ولكن مناشدة الحرية هي جريمة في هذا الزمن، فإن كل شيء مسجّل في الشريعة. وما هو مدهش في الإنجيل هو نسمة الحياة هذه، كلمة الرجاء هذه، كلمة تولد مع ولد وتترعرع في حياة البشر. فإذاً، لنجرؤ في أيامنا على الحرية...

شارل سينجر

الاحتفال بالسنة ٢٠٠٠

على غرار كل ما هو بشري، قد يخطئ الضمير البشري ويكون عرضة للأوهام والأخطاء. إنها صوت دقيق قد يغطّيه الضجيج بطريقة تحوّله عن الحياة، أو تكاد أن تخنقه عادة ثابتة للوقوع في الخطيئة المميتة.

لا بدّ أن يُغذّى الضمير ويُهذَّب، وأفضل طريقة لتهذيبه – على الأقل للذين نالوا نعمة الإيمان– هي أن يُحال على الشريعة الأخلاقية، كما وردت في الوحي الكتابي، والتي تفسّرها سلطة الكنيسة المعلّمة، بمساعدة الروح القدس.

هل نحن تائبون وراضون عن أنفسنا؟ " يجب أن نقبل الرسالة التي تأتينا من مَثَل الفريسي والجابي الذي نجده في الإنجيل (لو١٨/٩-١٤). قد نجد عند الجابي شيئاً من التبرير للخطايا التي ارتكبها، فتكون مسؤوليته أخفّ ثقلاً . لكنّه لا يتوقّف ، في الصلاة عند ذلك التبرير، بل عند عدم أهليته أمام قداسة الله:" اللهّم ارحمني أنا الخاطئ!" (لو١٨/١٣). أما الفريسي فقد برّر نفسه، لأنه يكون قد وجد عذراً لكل من الأمور التي قصّر فيها.

" فنحن أمام موقفين مختلفين من مواقف ضمير الإنسان الأخلاقي، التي عرفته جميع الأزمنة. ان الجابي يعرض لنا ضميراً "تائباً" يلاحظ تماماً ضعف طبيعته، ويرى في تقصيره، أيّاً كانت تبريراته الذاتية، تأييداً لحاجته إلى فداء. أمّا الفريسي فإنه يعرض لنا ضميراً راضياً عن ذاته، مع أنه يعيش في وهم إمكانه أن يتقيد بأحكام الشريعة من دون مساعدة النعمة، وفي اقتناعه بعدم حاجته إلى الرحمة.

"يُطلَب اليوم من جميع الناس سهر شديد، لكي لا ينقادوا للموقف الفريسي الذي يزعم التخلّص من الشعور بحدوده وخطيئته، والذي يعبّر عنه في أيامنا خاصةً بمحاولة تكييف المقياس الأخلاقي على المصالح الخاصة، والذي يصل إلى رفض مفهوم المقياس".

الفصل السابع

"انموا" (تك ١/٢٨)

أثمِروا – الخصب

شهادات:

"إن الخصب الجنسي هو غِنىً لا مثيل له يُشركنا إشراكاً واقعياً في عملية الخلق، لكن زواجنا يعطينا دعوة أوسع أيضاً وأعجب، وهي أن نجعل شريكنا خصيباً طوال حياته، ولا في جسده فقط. إن السعادة هي انشراح الشريك في حضن الزَّوجَين! [...]. لا يمكن أن يكون الاتّحاد الجنسي مجرّد إنجاب أولاد، فإنه يخلق الزَّوجَين ويُشرِح الشريك، ويواصل إبقاءنا، بصفتنا زوجين، خالقي خيرات روحية، في كلّ ما نعيشه في الحياة اليومية، في الحياة المهنية، في حياة العلاقات، في التزاماتنا (لا الكنسيّة فقط)".

" لقد فهمنا، في الفرقة، على وجه أفضل، المعنى العميق الذي يتّخذه الخِصب في نظر زوجين بدون ولد. إن زوجين من أزواج الفرقة، كانا معنيّين بهذه المشكلة الأليمة، فشرحا لنا سيرها: انطلاقاً من الشعور بالتمرّد، في مرحلة أولى، ووصولاً إلى وعي وسيلة" أخرى تمكّنهما من أن يصبحا خصيبين، وذلك بواسطة كل ما يعملان في خارج البيت، في التطوّع مثلاً الخ"

شعرت فجأة بأني أب، حتى صرخ ابني. وبالعكس، كنت أشعر بأن زوجتي كانت أمّاً منذ تسعة أشهر، وحين أصبحت أباً، فهمت الله".

"إن الشعور الذي انكشف كل مرّة هو" قبل كل شيء، شعور عزّة نفس وفرح كبير. كان الولد تجسيد حبّنا، وكان هذا الحبّ في حاجة إلى الخروج منّا. ثمّ إن الفرح الكبير تحوّل إلى أمل ضخم، وإلى رغبة، وإلى مشاريع للأولاد، وكانوا من حقل الحلم. لكن أولادنا علّمونا صيغة أخرى للحبّ: التواضع والإصغاء، والانتباه، والصبر والاستعداد".

إن هبة الحياة تتجاوزنا، وتجعلنا نلمس سرّ الحياة. إنها هبة من الله، وجزء صغير من قدرة الله. ان سرّ الحياة شيء لا يُصَدَّق! فمن السعادة وحب الزَّوجَين، ومن الاتّحاد الطبيعي ينشأ كائن جديد، شخص جديد، محفوف بالسرّ إلى أقصى حدّ ومختلف جداً عن جميع الأشخاص الموجودين. ولنا، لزوجين بين العديد من الأزواج الذين يشبهوننا، يوهَب أن نكون أداة في يد الله الخالق. يهبنا أن نكون خلاقين، أن

نملك في أنفسنا العناصر القادرة على هبة أصل الحياة. يا لها من هبة خارقة لا تصدَّق، هبة إلهية وملوكية!"

"الأمومة والأبوة المسؤولتان، هذا هو الموقف الحرج، لا ينقطع بيننا هذا السؤال: أيًّا كان الحدّ بين حساباتنا والمشروع الإلهي؟ في أصل استقرارنا كزوجين، نجد الخصب البيولوجي ومسؤوليتنا المشتركة".

" ليس الأمر المهمّ الطريقة في حدّ ذاتها، بل تصرّف الزَّوجَين تجاه حياتهما الخاصة وحياة أولادهما. أما الطريقة فهي تأتي كنتيجة".

مواد للتفكير

- **الخصب هبة من الله:**

قبل أن نتحدّث عن تنظيم النسل، نلفت النظر، كما فعل العديد من أعضاء الفِرَق في شهاداتهم، إلى أيّ درجة نقول نحن أيضاً إن الخصب هو بركة وهبة من الله. "في الكتاب المقدّس، يحتلّ الخصب مكانة جوهرية. فهولا يُعتبر أبداً، بوجه سلبي، خطراً، إلاّ في أوقات الكارثة الكبرى، حيث تعاني الأم محنة عذاب أولادها. إن الخصب هو بركة إلهية، في حين أن العقم هو أسوأ المصائب التي قد تصيب امرأة. والممارسة ضد الحَبَل من قِبَل الرجل هي جريمة، لأنها تغبن المرأة في حقّها أن تكون أماً، وتحول دون بركة الله. إن كثرة الأولاد هي مكافأة البارّ".

إن مسألة خصب الزَّوجَين لا تتوقف عند مسألة تنظيم النسل. فإنّ دينامية الحب تذهب به إلى ما بعد اللحظة الحاضرة، لا بل إلى ما بعد الشخص المحبوب. وإذا صحّ أنها من سكنى الحاضر، فإن الحب لا يكتفي بالانغلاق في الحاضر. وإن امتحن نفسه ونال نفسه كهبة، فهو يحمل الرغبة في أن تمتدّ تلك الهبة وتتضاعف وترتدّ في أن تأتي بثمار، متجسِّدة في عدة كائنات حيّة تتجاوز كائنات العشّاق فقط. كل ذلك يُختبر في الواقع في الحب الجنسي نفسه. إن الشهوة تنزع إلى الوحدة، في حين أن التنعّم يُعاش كدوخة، حيث يبدو الشعور بالحدود الفردية مُلغى موقّتاً. "يلزم الرجل امرأته فيصيران جسداً واحداً" (تك ٢٤/٢). إن كل شيء يتمّ، حين يشعر العاشقان بأنهما " يسقط الواحد في الآخر"، كما لو كانا يعرفان معرفة غامضة أن وحدتهما لا يمكن أن تُحقق إلاَّ بتجاوز نفسيهما، في حياة ثالثة تبقى بعد ذلك الاتّحاد العابر ويختلط فيها ميزاتهما ودماؤهما ومواريثهما. إن ذلك الطمع العميق هو أحد مصادر عذاب الزَّوجَين اللذين لا يمكنهما الإنجاب. فإن العذاب هو خلاف تلك الرغبة العميقة، وذلك العجز يعاش كنقص ومحنة.

وإذا كان عدد كبير من أولئك الأزواج المحرومين من الخصب البيولوجي يدومون، كما لا يُخفى علينا جميعاً، فذلك لأنهم بعد أن تجاوزوا تلك الصعوبات الخاصة، كثيراً ما اكتشفوا أشكالاً أخرى من الخصب، لأن الخصب الجنسي عبر الإنجاب، إذا صحّ انه ثمين جداً، ليس هو شكل الخصب الوحيد، فيكون الزوجان المحرومان من الولد دليلاً إلى أشكال أخرى من الخصب، تلك الأشكال التي تعطى للزوجين، أيًّا كانا.

♦ **أشكال أخرى من الخصب:**

– عندنا قبل كل شيء الخصب الناتج عن العلاقات بين الأشخاص. إن ثمرة الحب الأولى هي الحب نفسه، وكل ما يُثيره من القدرة الحياتية في كلّ من الأشخاص وبينهم. ذلك بأنه كحياة جديدة تنبثق بين الأشخاص، وهي حياة يستطيع كل واحد أن يلد أو أن يلد مجدّداً فيها ويجد جزءاً من نفسه، ويظهر كنوزاً مدفونة، ويُشفى من بعض الجروح. إن الحب الأصيل هو ينبوع ولادة متبادلة، وهو موهبة الحياة الواحد للآخر.

– قد يكون الخصب اجتماعياً أيضاً. إن حياة زوجين ثابتين هي حياة جماعة، ومن منطق هذه الجماعة أن لا تبقى منعزلة. ما عسى أن تكون تلك الجماعة حيث لا يُستقبل فيها أحد؟ فإن الضيافة لها ميزة خاصة، بالنسبة إلى ضيافة الأعزب. وهذا شأن الالتزامات التي قد يتّخذها الزوجان في الحياة، أكان في المجتمع أو الجمعيات والروابط أو السياسة أو الكنيسة. وما يأتي به زوجان هو مرسّخ في أعماق ما يعيشانه في صميم قلبيهما، عن طريق التبادل الثنائي القطب الدائم المذكّر المؤنث. ومن جهة أخرى، فإنهما يقدّمان، بشهادة أمانتهما، مسحة ثبات في بيئة متحرّكة جداً في بعض الأحيان.

– الخصب هو أيضاً، وقد يكون بوجه خاص، روحياً. إن الأبوّة والأمومة اللتين تُعاشان بوجه أصيل هما روحيتان قبل كل شيء: فإنهما تربطان نفوساً عن طريق الله، الذي هو الوسيط والينبوع لكل خصب. فإن الأبوّة والأمومة الروحيتين تخلقان علاقة يهب فيها شخص لشخص آخر أن يولد في جزء منه، ناقلاً إليه، لا علماً أو مهارة فقط، بل أكثر من ذلك أي حياة.

فالزواج هو إذاً تعهّد ببناء مكان تستطيع فيه كائنات حيّة أن تأتي وتترعرع فمن أراد أن يعيش خصوبات زوجين، وجب عليه أن يستهدف أكثر من الزَّوجَين، أي أن يستهدف تحقيق جماعة، واندماج هذه الجماعة بدورها في جماعة أوسع، وان يدرك أن الزَّوجَين العاشقين هما مدعوّان إلى أن يُنجبا ما يتجاوز الزَّوجَين، أي عائلة وأهل بيت، ومكان تبادلات ونموّ.

- **سلطة الكنيسة المعلّمة:**

إن السيطرة على ذلك الخصب هو رهان جوهري للزوجين. وهي ترتسم في مشروع زوجي والدي، يرمي إلى إنماء مختلف أشكال الخصب. هذا وإنها تمرّ، عند أكثرية الأزواج، بالسيطرة على الخصب الجنسي. لأنه بين الرغبة في الإنجاب التي تكاد أن تعمرنا جميعاً، حتى إن كانت تتمّ بطريقة مختلفة ومتقلّبة، والرغبة في الحمل عند المرأة، كثيراً ما تفترض عوامل كثيرة على الصعيد الشخصي والصعيد الزَّوجِيّ والصعيد العائلي.

لا يمكن تربية جميع الأولاد الذين تستطيع الطبيعة أن تعطينا إياهم، وطوال قرون، عاش الناس عدم إمكانية الإشراف على المواليد وكأنه حتمية. ومنذ نهاية القرن العشرين، أصبحت السيطرة على هذه المشكلة ممكنة علمياً وبالتالي موضوع نقاش. ماذا يمكننا أن نقول؟

"إن الكنيسة تؤيّد تنظيم النسل، شرط أن تكون أسبابه عند الأزواج موافقة لما يفرضه الحب الإنجابي". لم يصعب الاتفاق على هذا الأمر: ليس المقصود بالطبع، تجنّب مجيء ولد في جميع الحالات، حتى إن كانت العائلة لا تنقصها أسباب انتظار واحد منهم.

"كل طريقة تفترض وجود حوار منتظم وعميق بين الزَّوجَين". فعلى كل واحد أن يشعر بأنه مُشرَك في ذلك الاختيار الذي تُبنى عليه العائلة، ولا بدّ أن يُستأنف الحوار بالرصانة نفسها، عند تطوّر وضع الزَّوجَين، وإلى جانب ذلك، يجب أن يكون هناك طريقة تنظيم مثالية وان تلبّي الشروط التالية:

- إذا أمكن الأمر، يجب أن يكون منع الحمل محتملاً من قِبَل كل الزَّوجَين ... على كل واحد أن يحترم الآخر في فَرقِه.
- لا يجوز أن يستلزم منع الحمل لجوء الاتّحاد الجنسي إلى الطب بإفراط، وذلك، في آن واحد، لأسباب اجتماعية (وضع حدّ لتدخّل الطب، لأن تطوّراته كثيراً ما تكثِّر المشاكل بدلاً من أن تحلّها) وحميمة (أن يحفظ الاتّحاد الجنسي " شعريته"..." ولا سيما عمقه والتزام الكيان كلّه").
- يجب أن يبقى منع الحمل من مسؤولية الزَّوجَين، وان لا يخضع لضغط من قِبَل الحكومة.
- وأخيراً يجب أن يكون منع الحمل فعّالاً وقابلاً للرجوع إلى الوراء ومُرضياً إلى أقصى حدّ، وآخذاً بعين الاعتبار وضع الزَّوجَين الفريد للذَين يريدان أن يضعا حدّاً لعدد أولادهما".

"إن الكنيسة، بفضل سلطتها في التعليم، تحاول أن تأخذ بعين الاعتبار جميع تلك الحقائق. فهي تذكّر بقوة بأن الرهانات البشرية الخاصة بتنظيم النسل هي مهمة جداً. لا بل تحاول جاهدة أن تدلّ المسيحيّين على أي من الطرق تقترب على أكثر تقدير الطريقة "المثالية" التي حُدِّدت أعلاه".

"بحسب سلطة الكنيسة المعلِّمة، فإن الطرق المسمّاة "الطبيعية" هي الأقرب إلى الطرق المؤنسنة. في الواقع تنطوي تلك الطرق، بالرغم من سيّئاتها، على العديد من الحسنات. فهي قبل كل شيء، أقلّ الحاجة إلى الطب وهي معفاة من مراقبة الحكومات الضيّقة. وهي ، بوجه خاص، تُلزم الزَّوجَين. فإن اختيار التواترات الطبيعية، كما كتب البابا يوحنا بولس الثاني، يتضمّن قبول وقت الآخر [...]، إلى جانب قبول الحوار والاحترام المتبادل والمسؤولية المشتركة والسيطرة على النفس. وهو يدعو أيضاً إلى الاعتراف بما في الاتّحاد الزَّوجِيّ من طابع روحي وجسدي في آن واحد، وإلى حياة الحب الشخصي في ما يقتضيه من الأمانة" (الجماعة العائلية، رقم ٣٢)، فالمسيحيون هم مدعوون إذاً، من قِبَل البابا، إلى الاعتراف بأن ما علَّمه البابا بولس السادس في رسالته "الحياة البشرية" هو"مقياس لممارسة شؤون الجنس" (الجماعة العائلية، رقم ٣٤).

"ولكن من المهمّ أن نفهم كما يجب ما هو دور المقياس في الحياة اليومية. إن المقياس ليس وصفة، بل وظيفته أن يدلّ على الطريق المألوف بأكثر تقدير للأنسنة. إنه، في نظر كل واحد، شبه مَعلَم يُرغمه على الخروج من انطباعاته المباشرة لكي يبرز رهان تصرّفاته الحقيقي. وهو أيضاً ثمرة تفكير في الاختبار البشري والمسيحي الذي أخذ بعين الاعتبار جميع أبعاد العَمَل، بما فيها أبعاده الاجتماعية الجَماعية وانعكاساته المرجَّحة على المدى الطويل، إن المقياس هو الذي يُظهر العمل في ضوء الهدف الأخير الذي نتوخّاه، أي نمو صورة الله فينا. في النهاية، نقول بأن كل مقياس هو حثّ على التفكير لنرى هل نحن نستقبل ملكوت الله".

مع ذلك، يجب أن نأخذ علماً بأمرين: لا يمكن أن نتقيّد، في آن واحد، بجميع المقاييس. على سبيل المثال، كثيراً ما يكون المقياس "لن ترفض الخصب" في معارضة مع مقياس "اسهر على انشراح الزَّوجَين". وثانياً، لا يُطبَّق كل مقياس من قبل شخص معيّن، هنا والآن، بسبب صعوبات شخصية أو اجتماعية لا يُحتال عليها. على سبيل المثال، هناك نساء دورتهنَّ مُعَرقلة، حتى انه يستحيل عليهنَّ أن يلجأنَ إلى طرق "طبيعية" لمنع الحمل.

لكي يأخذ الإنسان علماً بهذين الأمرين، أدخل البابا يوحنا بولس الثاني في إرشاده الرسولي مفهوم "شريعة التدرّج" التي هي دعوة إلى السير إلى المزيد من الحب، علماً بأن عليه أن يأخذ بعين الاعتبار المواقف في تعقّدها".

" في الواقع، على الزَّوجَين المسيحيِّين اللذين يختاران طريقة أن يتأثرا بفكر سلطة الكنيسة المعلِّمة وان يفحصا هل الطريقة الطبيعية ليست ممكنة حقاً. وإذا اتّضح أن اللجوء إلى طريقة" اصطناعية" لمنع الحمل لا غنى عنها، عندئذ يستطيع الزوجان أن يعتبرا أن ما توصي به سلطة الكنيسة ليست لهما مقياساً يُطبّق فوراً.

" في ختام تفكير مشترك يتمّ بالاهتمام الذي تقتضيه عظمة دعوة الزَّوجَين، عليهما إذًا أن يقرِّرا اختيار طريقة أخرى، مع حفظ" قلبيهما مستعدّين لتلبية نداء الله، مُصغيين إلى كل إمكانية جديدة تعيد إلى بساط البحث اختيارهما أو تصرّفهما الحالي" (تعليق الأساقفة الفرنسيين على الرسالة البابوية "الحياة البشرية").

طرق تنظيم النسل:

مع أن تلك الطرق معروفة، بدا لنا مفيداً أن نذكّر بها، حتى لو لم يكن هذا التذكير وافياً.

- طرق تخطيط طبيعي:

* الجد الأعلى: " أوجينو" (على سبيل التذكير).

* طرق المراقبة الذاتية، القائمة على أن تراقب المرأة نفسُها علامات تعرضها الطبيعة عليها في أثناء دورتها .. يمكننا أن ندرج في هذا الصنف:

– طريقة درجة الحرارة.
– طريقة بلّينغ (آح عنقي فقط)
– طرق نموذج "برصونا"

في إطار تلك الطرق، وبافتراض معرفة الفترة الخصيبة، وعلى افتراض أن الزَّوجَين لا يتمنيّان مجيء ولد، هناك تصرّفات مختلفة يمكن أن تواجَه: الإمساك الجنسي الدوري، في الفترات الخصيبة، و"الحنان العفيف"، الذي يفسح المجال لحنان مداعب متوسّع فيه.

- طرق مانعة للحمل، يتمّ التدخّل فيها لمنع تلاقي الحُوَينات المنويّات والبويضة:

* قاتلات الحُوَينات المنويّة

* الواقيات

* مانعات الحمل (الحبّة) التي تمنع الإباضة، أو، من دون أن تمنعها، تجعل الآح العُنقي عقيماً، وهذا ما يراعي بوجه أفضل دورة المرأة الهرمونية.

➢ <u>طرق أخرى:</u>

* أجهزة داخل الرحم، مانعة للتعشيش، لا تمنع الخصب(جهاز لولبي)

* "حبات الغد"، التي تمنع التعشيش وتُحدث حيضاً، سواء أكان هناك تعشيش وحتى إخصاب أم لا. وفي عهد قريب، حبَّات من طراز نورليفو.

➢ وهناك، على سبيل التذكير، قرارات تتجاوز الحدّ الأقصى:

* التغيير الإرادي في إمكانيات الإنجاب(ربط القنوات، بتر قنوات الخ)

* وللأسف في بعض الأحوال، الإجهاض العلاجي أو غير العلاجي.

لكلّ من تلك الطرق، من اللائق أن نعتبر تعليم الكنيسة والوجوه العملية: عدم الضرر، والفعّالية، وسهولة الاستعمال، وإمكانية الرجوع، والاكتفاء الذاتي، وأن نستنتج منها بالصدق القرارات التي تختص بالزَّوجَين في وضعهما الحالي. هذا وان الخواطر في الضمير التي وردت في الفصل السابق والأسئلة التالية، يجب أن تساعدنا على التمييز.

في الخصب، ماذا يقول لنا، في الملخّص، تعليم الكنيسة الذي هو المفسِّر المتجسّد لكلمة الله؟

➢ في عمل واحد، منذ خلق العالم، ترتبط عبارة الحب بين الرجل والمرأة بالقدرة على الإنجاب. فلكي نحترم هذا التخطيط الإلهي، يليق بنا أن نحفظ هذين الوجهين مرتبطين ارتباطاً ذاتياً.

➢ "لا تقتل"، ما زال هذا القول إحدى الوصايا الأساسية التي أعطاها الله لشعبه. فبقيت الكنيسة ثابتة في واجب احترام الحياة منذ نشأتها.

أسئلة:

للتحاور بين الزَّوجَين

❖ بماذا توحي لنا كلمة "خصب"؟ ما هي مختلف خصوباتنا؟ كيف تطوّرت طوال حياتنا الزَّوجِيّة؟

❖ هل نستطيع أن نعبّر عمّا بيننا هو مصدر خصب باطني: حياة جنسية، وعلاقة عِشق، ومصادر أخرى للخصب؟

❖ في أثناء "واجب مجالسة"، فلننظر معاً إلى موقفنا من الخصب إلى أين وصلنا: طريقة تنظيم النسل، البحث عن الإنجاب، والخصب في المجتمع والجمعيّات والسياسة والكنيسة.

❖ لنفحص كيف أن شؤون الجنس عندنا تتّسم باحترام الآخر وتهدف إلى ابتغاء توازن تجاه التعبير عن شؤون الجنس عند كل واحد.

للتحاور في الفرقة

- منذ البدايات، ربط الله، في فعل واحد بين التعبير عن الحب بين الرجل والمرأة وإمكانية الإنجاب. وما زالت الكنيسة تطلب أن يُحتَرَم ما قصده الله أولاً . كيف نحفظ ذلك الإعجاب الذي يولّده هذا الرباط لكي يُنير أحكامنا التقييمية واختياراتنا؟
- الحياة البشرية هي مقدّسة: منذ البدايات، تُلزِم مباشرة عمل الله الخلاّق. نحن هنا في صميم الوصايا العشر: "لا تقتل". فهل نجتهد أن نربّي ضميرنا في هذه النقطة، محاولين على سبيل المثال، أن نتعرّف إلى الحركات التي تعمل في سبيل احترام الحياة؟
- هل نستخدم الوقت اللازم لنعرف ما هو تقدّم العلم والمسائل الأخلاقية التي تطرحها بعض تطبيقاتها: نظام الجنين والاستنساخ والإخصاب في المختبر، والتلقيح والتشخيص السابق للولادة، والإجهاض العلاجي...؟

صلاة

نص للصلاة (تك ١/٢٨.٣١)

"وباركهم الله وقال لهم:" انموا واكثروا واملأوا الأرض وأخضعوها، وتسلّطوا على اسماك البحر وطيور السماء وكل حيوان يدبّ على الأرض". وقال الله:" ها قد أعطيتكم كل عشب يُخرج بزراً على وجه الأرض كلّها، وكل شجر فيه ثمر يُخرج بزراً يكون لكم طعاماً. ولجميع وحوش الأرض وجميع طيور السماء وجميع ما يدبّ على الأرض ممّا فيه نفس حيّة أعطي عشب أخضر مأكلاً ". فكان كذلك. ورأى الله جميع ما صنعه فإذا هو حسن جداً. وكان مساء وكان صباح يوم سادس".

نصوص مرافقة:

أنا لحبيبي وأشواقه إليّ
هلُمّ يا حبيبي، لنخرج إلى الحقول ولنَبتْ في القرى
فنُبكِّر إلى الكروم وننظر هل أفرخ الكرم
وهل تفتحت زهوره وهل نوّر الرمّان، وهناك أبذل لك حبّي
اللفّاح قد نشر رائحته، وعند أبوابنا ألذّ الثمار
الحديثة منها والقديمة لك أدخرتها يا حبيبي" (نش ٧/١١-١٤)

وجه محرّر وبانٍ من الشريعة

" شيئاً فشيئاً توصّل الكائن البشري إلى تصنيف مختلف نزعاته واستيعابها، حتى نظّمها تنظيماً متناسقاً في فضيلة العفة الزَّوجِيّة هذه، حيث يجد الزوجان انشراحهما الإنساني والمسيحي التام. وان عمل التحرّر ذلك هو ثمرة حريّة أبناء الله الحقيقية، الذين يطلب ضميرهم، في آن واحد، أن يُحتَرَم ويُرَبّى ويكوَّن في أجواء ثقة من دون قلق، حيث نعرف أن الشرائع الأخلاقية، بدل أن تكون باردة ومجرّدة، هي هنا لترشد الزَّوجَين في سيرهما. فإن الزَّوجَين، حين يجتهدان، بالصبر والتواضع، من دون ان تفتر أنواع الإخفاق همّتهما، في أن يعيشا في الحق متطلّبات حبّ قدّسته القواعد الأخلاقية التي هي هنا على سبيل التذكير، فإن تلك المتطلبات لا تعود تُرفض وكأنها عقبة، بل يُعترف بها عوناً قوياً"

(من التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية)

تمييز النقطة المهمّة

يُظهر الإنسان حبّه في عمل يهب الحياة، وبالحركة نفسها يهب الحياة ويعبّر عن حبّه. قلنا إن هذا العمل يجب أن يكون دائماً عمل حب. فهل يجب عليه أن يكون دائماً حركة تهب الحياة؟ أن يهب الحياة دائماً، نعلم بأن هذا غير صحيح. ولكن في نظر الرسالة البابوية، " الحياة البشرية"،" يجب أن يكون كل عمل زواجي منفتحاً على نقل الحياة"(رقم ١١)، وهذا ما يعني أنه" لا يمكن أن يمسّ بالاستعداد لنقل الحياة".

ماذا يعني ذلك؟ أفيجب، كلّما تمّ اتّحاد جنسي بين الزَّوجَين، أن تكون عندهما رغبة في الإنجاب؟ إن الكنيسة تعترف للوالدين بحق تحديد عدد أولادهما، وبالتالي بحق تقرير عدم إنجاب لمدّة محدودة أو على الإطلاق بعد اليوم. ورد في الرسالة البابوية "الحياة البشرية" ما يلي: "تُمارس الأبوة المسؤولة، إمّا بقرار، أمعن فيه النظر وكان كريماً، بأن تُربّى عائلة كثيرة، وإمّا بقرار يُتّخذ لأسباب هامّة وباحترام الشريعة الأخلاقية، بتجنّب إنجاب جديد موقّتاً أو لفترة زمنية غير محدودة".(رقم ١٠)

"إذا وجب أن يكون كل عمل زواجي منفتحاً على نقل الحياة"، هل يجوز أن يكون هناك اتّحاد جنسي، حين كان معروفاً أن مثل ذلك الاتّحاد لا يستطيع أن يهب الحياة(عُقم بعد سنّ اليأس، وفي أثناء الحمل أو الفترات غير الخصيبة عند المرأة)؟ ظهرت تردّدات في هذا الموضوع في أوائل الكنيسة، لكن الجواب هو نعم بلا تردّد. إن مثل تلك الأعمال، حتى إن كانت مجرّد أعمال حبّ، تحافظ على كلّ قيمتها. وهذا ما أوضحته الرسالة البابوية" الحياة البشرية".

"إذا وجب أن يكون كل عمل زواجي منفتحاً على نقل الحياة"، فهل يجوز أن يتمّ الاتّحاد في الفترات الخصيبة فقط؟ نعم، ولا شك، إن لم يكن في ذلك رفض مطلق للحياة. يجب على الزَّوجَين أن يطرحا

على أنفسهما هذا السؤال: لماذا يرفضون الإنجاب موقّتاَ؟ عن أنانية؟ أم حبّاً للرفاهية؟ أم للمحافظة على الحرية؟ (سيارة، بيت، رحلة)؟ أم لخدمة الحب(راحة الأولاد الذين أُنجبوا، أم صحة الأم)؟ إن الأنانية لا تبرّر أي طريقة، حتى لو وافق البابا عليها. ففي القلب أولاً يجب أن نكون منفتحين على الحياة.

هل يجوز الاتّحاد الجنسي بالحؤول التعمّدي دون الإنجاب؟ هنا يتدخّل رفض الرسالة البابوية "الحياة البشرية": " يُستَبعد كل عمل، إمّا تحسباً للاتّحاد الجنسي، وإمّا في سيره، وإما في تطوّر نتائجه، يُراد به، كفاية أو كواسطة، تجنّب الإنجاب"،(رقم ١٤). يجب على الزَّوجَين أن يحبّ الواحد الآخر في عمل لم يُفرِغ طوعاً من قدرته على الإنجاب. إن أرادا أن يتّحدا من دون أن ينجبا، وُجِب عليهما أن لا يختلف عملهما عن العمل الذي يمكّنهما من الإنجاب في وقت لاحق. وإلاّ، فقدا نيّة نقطة الانطلاق. وهذا ما تشرحه الرسالة البابوية " الحياة البشرية": " هناك رباط لا ينحلّ، أراده الله ولا يستطيع الإنسان أن يفسخه من تلقاء نفسه، بين معنيَي العمل الزَّوجِيّ: الاتّحاد والإنجاب... بفضل المحافظة على وجهين جوهريين، الاتّحاد والإنجاب، يحفظ العمل الزَّوجِيّ بكامله معنى الحب الحقيقي المتبادل ونزوعه إلى دعوة الإنسان السامية إلى الأبوّة"(رقم ١٢).

تؤمن الكنيسة بأن شؤون الجنس تفقد قيمتها، إن فُصل الحب عن الانفتاح على الولد. ما من أحد يشك في هذا الأمر. لكن النقاش يتناول التمييز بين انفتاح القلب فقط أو انفتاح كل من أعمال الجسد. إن رفض الزوجان الإنجاب لخير الأولاد الذين سبقوا، أو فضّلا الانتظار لاستقبال ولد جديد في ظروف أفضل، فهل يقال بأن ذلك الرفض للحياة في الوقت الحاضر هو رفض تامّ للحياة؟ إن الرفض الحالي للخصب ليس انغلاقاً على الحياة، بل نتيجة لاستقبال الأمس للحياة أو للاستعداد لاستقبالها غداً. أفنقول بأن ذلك الاستقبال للحياة كلها ليس كافياً؟ أفلا يكفي الانفتاح على مستوى القلب، من دون أن يشمل دائماً الانفتاح على مستوى الجسد؟ كان هذا رأي أغلبية اللاهوتيين الذين استشارهم بولس السادس، لكن البابا بتّ قائلاً: لا بدّ أن يظهر الانفتاح أيضا في بنية كل عمل من أعمال الاتّحاد الجنسي. هنا يكمن كيف أن وجهَي شؤون الجنس اللذين لا ينفسخان، يبقيان متّحدين بالطريقة الصحيحة.

لا شك، حبّذا لو جمع كل عمل بين الوجهين. إن الأزواج الذين عاشوا في سلام طريقة التنظيم هذه يعرفون إلى أي درجة كان ذلك سعيداً. هذا وان هناك اختبارات إعلام وتحريك مشاعر تظهر أن التنظيم المقصود هنا يحقّق بطريقة أفضل ممّا يُقال. لا بل يبدو أمراً أفضل من الوجهة الإنسانية أو الطبيعية. إن طريقة منع الحمل الأقل ثقلاً من الوجهة الإنسانية، والأقل احتواءً على نتائج وخيمة، هي ولا شك، الإمساك الجنسي. فإن طريقة منع الحمل، الخالية من العنف، حيث يعيش الزوجان في تناغم مع إيقاعات الجسد والاستفادة من دورات عقمه، هي، ولا شك، أقل كلفة للجسد من الطرق التي تعتدي عليه:

كالحبوب على مدّة طويلة، بغض النظر عن الجهاز اللولبي وتكرار الإجهاضات الصغيرة. من الأمور الغريبة في أيامنا أن علماء البيئة، الحريصين على الأضرار التي تُنزلها التقنيات الحديثة في الطبيعة، هم الذين يعترفون بأن البابا قد تكلّم بحكمة. لو أُنفق من المال ما أُنفق لضبط مقاييس وثيقة للإعلان عن دنو الإباضة، وبالتالي لتقصير زمن الإمساك الجنسي إلى أقل حدّ، من دون أن تنقص أمانته، لكان العمل قد تمّ في طريق يُرجى منه خير أكبر. إذا تمكّن زوجان بسهولة من تأمين تنظيم للحمل أكثر فعّالية، يكونان قد اهتديا إلى أفضل طريق. لعلّ بعضهم قد شعروا بسرعة بأن الطريق مسدود.

الأمر مرغوب فيه، ولكنه لا يحقّق دائماً. قد نرى أزواجاً يجب عليهم أو يريدون شرعاً أن يتجنبوا ولادة جديدة، ولا يجدون من الوسائل التي تؤمّن تأميناً فعّالياً ذلك التنظيم إلاّ اللجوء إلى مستحضرات تمنع الحمل. إن تأييد فكر البابا لا يجيز لنا أن نقول بسرعة إن الذين يُزيلون إزالة مصطنعة إمكانية الحبل بالولد يجعلون من الاتّحاد الزواجي مناسبة لإشباع أنانية كل واحد. وإلاّ لسلّمنا بأن الاتّحاد الجنسي، كلّما كان الحمل غير ممكن، هو عمل أناني. لأن الرجل يستطيع أن يستعمل الطرق الاصطناعية وكلّه حب لزوجته وأولاده. فلأنه يحب زوجته لا يريد أن يفرض عليها أعباءً ثقيلة لها ولصحتها ولأولادها، ولأنه، في هذه الحالة الخاصة، لم يجد وسائل فعّالة غيرها. هذا ما قاله الأساقفة الفرنسيون في ١٩٦٨:" لا يخفى على أحد الهموم الروحية التي يتخبّط فيها الأزواج الصادقون، ولا سيما حين يرون أن التقيّد بالإيقاعات الطبيعية لا ينجح في تأمين أساس أمين كافٍ لتنظيم النسل. من جهة، لا يخفى عليهم واجب احترام الانفتاح على الحياة في كل عمل زواجي، ويرون من واجبهم تجنّب ولادة جديدة أو تأجيلها إلى وقت لاحق، وهم محرومون من إمكانية الاتكال على الإيقاعات الحياتية.

ومن جهة أخرى، لا يرون، في ما يتعلّق بهم، كيف يتخلّون حالياً عن التعبير الطبيعي عن حبّهم، من دون أن يهدّد ثبات عائلتهم. في هذا الموضوع سنكتفي بأن نذكّر بتعليم الأخلاقية الثابت: إن وُجِد الإنسان في تناوب واجبات حيث، أيّاً كان القرار المُتَخذ، لا يستطيع تجنّب شرّ من الشرور، فإن الحكمة التقليدية توصي بالسعي أمام الله للواجب الأكبر. فالزوجان يتخذان قراراً في ختام تفكير مشترك يُقام به بالاهتمام الكلّي الذي تتطلّبه عظمة دعوتهما الزواجية". لا نجد في الأسطر السابقة أيّ احتقار لكلام البابا. بما أن كل ما هو مهمّ مستحيل في وقت واحد، فلا بدّ من المحافظة على الأهمّ. والأهمّ هو بقاء الزَّوجَين.

قد يكون هناك بعض الأشخاص المستعدين أن يقولوا للأزواج: "في هذه الحال، لا يبقى إلاّ حلّ واحد: الإمساك الجنسي ما دامت الحال باقية". لكن الزَّوجَين يحتاجان إلى الحب بقدر ما يحتاجان إلى الأولاد. فلماذا ينتظران أن يمسيا غير خصيبين نهائياً ليعبّرا جسدياً مرة أخرى عن حبّهما؟ ولماذا يعاقَب

المحظوظان بأنهما خصيبان بالنسبة إلى اللذين ليسا خصيبين؟ إذا صحّ أن هذين يستطيعان أن يمارسا الجنس "للتعبير عن اتّحادهما ولتثبيته". كما ورد في الرسالة البابوية "الحياة البشرية"، أفلا يحتاج الآخران بالقدر نفسه؟ وهل يجوز أن يُطلب إليهما أن يمارسا الإمساك في المدة نفسها، فننسى القديس بولس الذي كان يُجيب المسيحيِّين الذين يسألونه هل يجب على الرجل أن يمتنع عن المرأة: "لا يمنع أحدكما الآخر إلاّ على اتفاق بينكما وإلى حين تتفرّغا للصلاة، ثم عودا إلى الحياة الزَّوجِيّة لئلاّ يجرّبكما الشيطان لقلّة عفّتكما" (ا قور ٧/٥). فهل يكون القديس بولس من غير أبناء زمانه اليوم؟

إليكم الرهانات. يُطلَب من الزَّوجَين أن يُقرّرا ما عليهما أن يعملا، باحثين عن الأهم والأمسّ في نظرهما. فإن المطلوب دائماً من الضمير هو التقرير النهائي. إن الضمير لا يدّعي أنه يحدّد ما هو خير أو شر في حدّ ذاته، بل رسالته هي أن يختار ما يجب عمله في وضع ملموس لكي يحافظ على الجوهر آخذاً بعين الاعتبار النداءات المسموعة والإكراهات والممكن. ما من أحد يستطيع أن يقوم بذلك في مكانه. بالرغم من كل ذلك، لا بدّ من التذكّر دائماً بأن مشاكل طرق منع الحمل، أيّاً كانت أهميتها، ليست هي كل الجنس، ولا كل حياة الزَّوجَين، ولا كل الحياة نفسها. فإن الحياة المسيحية لا تتمّ هنا، لأن الجوهر يبقى دائماً التوجيه الروحي العميق الذي يختاره الزوجان في حياتهما. **وإذا** وضع زوجان كل حياتهما باسم الحب وبالتمسّك بالرب تمسّكاً عميقاً، وبهبة أصيلة للآخرين، سواء أكان في العائلة أم في مجموعة علاقاتهما، فإنهما سيجدان طريقهما ولا شك، حتى في أصعب المواقف. قد يتردّدان أو يغلطان، أو قد يعانيان أشكال الضعف، ولكنهما لن يتيها مدة طويلة. ليس هناك كفيل أفضل ليميّز أمام الله ما هو جوهري حقاً.

الأب شارل بونيه، في الرسالة البابوية "الحياة البشرية"

الفصل الثامن

مجِّدوا الله بأجسادكم (ا قور ٦/ ٢٠)

جسدكم هو هيكل الروح القدس

شهادات

"إني تعبان من عدم مبالاة الذين ينمّون على الجسد. فإمّا يجلدونه وينهكونه وكأنه دابّة، وبعد أن يطلبوا منه ما لم يقبل أن يعطيهم، ينوحون على عدمه، وإمّا يربطونه وكأنه حيوان مفترس يترصد الروح لينهشه، من دون أن يروا أن المعركة الحقيقية هي في داخل ذلك الروح. ليس كل ذلك إلاّ إسقاط نجاسة النفس على الجسد، وبكلمة مختصرة، البحث عن كبش الفداء".

"جُعل الجسم للنفس، ليعبّر عنها وينمّيها ويهبها".

مواد للتفكير

المقدّمة: في هذه المرحلة من مراحل موضوع الدرس، وصلنا، بوجه من الوجوه، إلى قمّة تفكيرنا، لأننا لا نتحدّث عن عناصر مفرّقة أو مراحل منعزلة ونظريات جميلة كثيراً أو قليلاً وربّما خيالية، بل نتحدّث عن واقعنا الملموس بصفتنا أزواجاً مسيحيين يعيشون سرّاً كنسياً. من واجبنا أن نستوعب المعطيات التي تحدّثنا عنها في الفصول السابقة، وان نوفّق بينها، أي أن نقوم بتلخيص يعطينا نظرة إجمالية إلى كل بحثنا وإلى جميع معطيات اختبارنا.

في الواقع، ما نريده في هذا الفصل الأخير هو أن نجد المفتاح الذي يستطيع أن يفتحنا على الاقتناع بأن حياتنا الزَّوجِيّة مؤسسة على إرادة صريحة من الله الخالق، وبأن تلك الإرادة، على جميع مستويات حياتنا كزوجين، تتوضّح باكتشاف بُعدنا المتعالي، فننتقل من الجسد إلى الشخص، ومن البعد الجسدي إلى البعد الروحي، وبكلمة مختصرة، وان نؤمن بإمكانية تقديس حبّنا التي لا تصدّق، في جميع مجالات علاقتنا الزَّوجِيّة.

مقاربات: في اهتمامنا بالدقّة، وفي رغبتنا بأن نعود فنجد التعبير عن التفكير الحاليّ، نستشهد، من دون تعليق تقريباً، بسلسلة من نصوص البابا يوحنا بولس الثاني ووثائقه وخطبه.

في سبيل تفكير لاهوتي أشدّ ايجابية

♦ إن شؤون الجنس هي هبة من الله. فهي حسنة في حدّ ذاتها، وان استخدمت كما يريد الله، تُغني وتُشرّف. يجب التشديد على هذه النقطة، حتى نُقلع عن الفكر الثنائي القديم والحاضر، لأنه يحطّ من قيمة الجسد وشؤون الجنس.

♦ إن شؤون الجنس هي قوّة موجّهة إلى العلاقة. فليست مجرّد قدرة على القيام بأعمال خاصة، بل هي جزء من قوتنا أو من قدرتنا الطبيعية التي يعطينا الله إياها لإقامة علاقات مع الآخرين. وهي تلوّن صفات الحساسية والدفء والانفتاح والاحترام المتبادل في علاقتنا بين الأشخاص. على هذا الصعيد، من المهمّ أن نلاحظ أن شؤون الجنس البشرية لها أيضاً بعد اجتماعي. وبصفتها جزءًا لا يتجزّأ من طبيعتنا، فهي تؤثر في علاقتنا واتزاننا على صعيد المجتمع، إلى جانب علاقتنا الشخصية بأفراد آخرين.

♦ إن فهمنا شؤون الجنس بذلك المعنى، فإنها لا تختلط بالتناسلية التي هي مفهوم أضيَق يتعلّق بما لشؤون الجنس من عبارات طبيعية موجّهة إلى الاتّحاد التناسلي. إن ما للزواج من ظروف خاصة هو ضروري في ما لشؤون الجنس من عبارة طبيعية عُليا، لكي تخدم الحبّ البشري والحياة البشرية بسخاء، من دون الخدعة التي تشكّلها العلاقات قبل الزواج ومن دونه. فإن تكاملية شؤون الجنس (الرجل والمرأة) وديناميتها الحارّة الملتفتة إلى الاتّحاد تعكس، بألفاظ بشرية، الوحدة الدينامية الموجودة في الإله الثالوث. ولذلك، فإن الفرق القائم بين الجنسين هو حسن يريده الله منذ البداية، بصفته جزءًا لا يتجزّأ من وحيه الخاص. ولا نستغرب ضرورة الكمال الطبيعي والنفسي في فعل الاتّحاد الجنسي، الذي به يعبّر الزوجان عن نفسيهما ويتكاملان.

أصبح الإنسان "صورة الله ومثاله"، لا عَبرَ بشريته الخاصة فقط، بل عَبرَ اتّحاد شخصين أيضاً شكّلهما الرجل والمرأة منذ البداية ... إن الإنسان يصبح صورة الله في أثناء الاتّحاد أكثر ممّا كان في أثناء الانعزال." منذ البداية، ليس هو فقط صورة تعكس انعزال شخص يحكم العالم، بل هو أيضاً في جوهره، صورة اتّحاد إلهي سرّي، اتّحاد أقانيم".

من أجل ذلك بالذات، فإن وظيفة الجنس الذي هو، بمعنى من المعاني، "يكوّن الشخص" (وليس هو مجرّد "صفة للشخص")، يُظهر إلى أي عمق نرى أن الإنسان، مع انعزاله الشخصي كلّه، ومع طابع شخصه الوحيد والفريد على الإطلاق، هو مكوّن "هو" أو "هي" بجسده. هذا وإن حضور العنصر الأنثوي، إلى جانب العنصر الذكري الذي هو معه، يعني للإنسان غنىً في كل أفق تاريخه، بما فيه تاريخ الخلاص.

"إن الرجل والمرأة يشكّلان تقريباً طريقتين مختلفتين للكائن الإنساني بصفته "جسداً" في وحدة صورة الله هذه". فإن الجسد البشري، بفضل جنسه وذكوريته وأنثويته. إن نظرنا إليه في سرّ خلق العالم، فإنّه ليس مجرّد مصدر خصب وإنجاب، كما نرى ذلك في النظام الطبيعي كله، بل يحتوي "منذ البداية" صفة "زواجي"، أي القدرة على التعبير عن الحب الذي فيه يصبح الإنسانُ–الشخصُ هبةً، ويحقّق– بواسطة هذه الهبة– معنى جوهره ووجوده".

"إن الشعور بمعنى الجسد الذي يشتق منه – بوجه خاص "بمعناه الزواجي"– يشكّل المركّبة الأساسية للوجود البشري في العالم... فللجسد معنى "زواجي" لأن الإنسان الشخص، كما ورد في المجمع، هو خليقة أرادها الله لأجلها، مع أنها لا تكون تماماً إلاّ في الزهد بالنفس".

الإنسان، صورة الإله الحب

خلق الله الإنسان على صورته ومثاله(تك ١/٢٦–٢٧): بدعوته إياه إلى الوجود عن حبّ، دعاه في الوقت نفسه إلى الحب.

الله محبّة (ا يو٨) ويحيا في نفسه سرّ اتّحاد حبّ شخصياً. وبخلقه بشرية الرجل والمرأة على صورته، وبحفظه إيّاها دائماً في الكيان، يكتب فيها الدعوة، وبالتالي القدرة والمسؤولية الموافقَين، إلى الحب والاتّحاد. فالحب إذاً هو الدعوة الأساسية والفطرية لكل كائن بشري.

بما أن الإنسان هو روح متجسّد، أي نفس تعبّر عن ذاتها في جسد، وجسد يُنعشه روح خالد، فهو مدعو إلى الحب في كماله الموحّد. والحب يشتمل أيضاً على الجسد البشري، والجسد يُشرَك في الحب الروحي.

يعرف الوحي المسيحي طريقتين خاصتين لتحقيق الدعوة إلى حبّ الشخص البشري، في كماله: الزواج والبتولية، هذا وتلك، في صيغتهما الخاصة، هما تجسيم أعمق حقائق الإنسان، وهي " كونه على صورة الله".

ولذلك، فإن شؤون الجنس، التي بها يهب الرجل والمرأة نفسيهما للآخر، غير أعمال الزَّوجَين الخاصة والحصرية، ليست شيئاً حياتياً فقط، بل تتعلّق بالشخص البشري بأحمّ شيء فيه. وهي لا تتحقق بوجه بشري حقاً ما لم تكن جزءاً لا يتجزأ من الحب الذي يلتزم فيه الرجل والمرأة تماماً الواحد نحو الآخر حتى الموت. تكون الهبة الطبيعية نمّاقة كذباً، ما لم تكن دليلاً وثمرة لهبة شخصية تامّة... يكون فيها الشخص حاضراً، حتى في بُعده الزمني. وإن احتفظ الإنسان بأيّ شيء كان، أو بإمكانية اتخاذ قرار مختلف للمستقبل، لا تعود الهبة أن تكون تامّة.

إن الكمال الذي يفترضه الحب الزَّوجِيّ يناسب أيضاً متطلبات خِصب مسؤول: وهذا الخصب، المُعَدّ لأن يلد كائناً بشرياً، يتجاوز، بفضل طبيعته، النظام الحياتي المحض، ويشمل مجموعة قِيَم شخصية يفترض نموّها المتناغم أن يأتي كل من الزَّوجَين بمساهمته الدائمة وباتفاق مشترك.

إن "المكان" الوحيد الذي يمكّن من تلك الهبة بحسب كل حقيقتها هو الزواج" أي ميثاق الحب الزواجي أو الاختيار الواعي والحر، الذي به يستقبل الرجل والمرأة الاشتراك الحميم في الحياة والحب الذي يريده الله والذي لا يُظهر معناه الحقيقي إلاّ في ذلك النور. ليس تأسيس الزواج تدخّلاً ممنوعاً من المجتمع أو من السلطة، ولا فرضاً خارجاً من صيغة، بل هو تطلّب داخلي من ميثاق الحب الزواجي الذي يثبت نفسه علناً بأنه فريد وحصري، لكي تُعاش الأمانة التامّة لتدبير الله الخالق. وتلك الأمانة، بدل أن تحطّ من حرية الشخص، تضعه في مأمن من كل عدم موضوعية وكل نسبية، وتُشركه في الحكمة الخالقة.

الزواج والاتّحاد بين الله والبشر

إن الاتّحاد الحبّي بين الله والبشر، الذي هو المحتوى الأساسي للوحي ولاختبار إيمان إسرائيل، يجد تعبيراً له معنى في العهد الزواجي بين الرجل والمرأة.

فإن كلمات الوحي الجوهرية، اي"ان الله يحبّ شعبه"، تُلفظ أيضاً بواسطة كلمات حيّة وملموسة يستعملها الرجل والمرأة للتعبير عن حبّهما الزواجي. فإن رباطهما الحبّي يصبح صورة ورمزاً للعهد الذي يوّحد بين الله وشعبه(هو٢/٢١ وار٣/٦-١٣ واش٥٤) . فحتّى الخطيئة التي قد تُسيء إلى الميثاق الزواجي تصبح صورة لعدم أمانة الشعب لإلهه: فعبادة الصنم هي دعارة(حز١٦/٢٥)، وعدم الأمانة هي زنى، وعدم التقيّد بالشريعة هو تخلّ عن حبّ الرب الزواجي. لكن عدم أمانة إسرائيل لا يُزيل أمانة الرب الأبدية. ولذلك، فإن حبّ الله الأمين دائماً يُعرَض كمثال لعلاقات الحب الأمين التي يجب أن نراها بين الزَّوجَين(هو٣).

يسوع المسيح، عريس الكنيسة، وسرّ الزواج

إن الاتّحاد بين الله والبشر يجد إنجازه النهائي في يسوع المسيح، ذلك العريس الذي يحبّ ويهب نفسه مخلّصاً للبشرية، متّحداً بها وكأنها جسده. إنه يكشف حقيقة الزواج الأصلية، حقيقية "البداية" (تك ٢/٢٤ ومتى ١٩/٥)، وبتحريره الإنسان من قساوة القلب، يجعله قادراً على إنجاز الحقيقة تماماً. وذلك الوحي يصل إلى الكمال النهائي في هبة الحب التي يهبها كلمة الله للبشرية، باتخاذه الطبيعة البشرية، وفي الذبيحة التي يُضحّي فيها بنفسه على الصليب لعروسه الكنيسة. وفي هذه الذبيحة، يظهر تماماً التدبير الذي طبعه الله في بشرية الرجل والمرأة منذ أن خلقهما. فيصبح زواج المعمّدين رمزاً حقيقياً إلى

العهد الجديد والأبدي، الذي خُتِم في دم المسيح. والروح القدس، الذي يفيضه الرب، يهب لهما قلباً جديداً ويجعل الرجل والمرأة قادرين على حبّهما الواحد للآخر، كما أحبّنا المسيح. والحبّ الزواجي يصل إلى ذلك الكمال الذي أعِدّ له داخلياً: المحبة الزَّوجِيّة. وهذه المحبة هي الطريقة الخاصة التي بها يشارك الزوجان بمحبة المسيح الذي وهب نفسه على الصليب، وهما مدعوّان إلى ممارستها.

في صفحة مشهورة بحق، عبّر طرطليانس تعبيراً حسناً عن عظمة تلك الحياة الزواجية وجمالها في المسيح: "أين يمكنني أن استمدّ القوة لأصف، بوجه مُرضٍ سعادة الزواج الذي توفّره الكنيسة وتثبّته التقدمة وتوطّده البركة. فإن الملائكة تُعلنه والآب السماوي وافق عليه... يا له من زوجين مسيحيين، يوحِّدهما رجاء واحد، ورغبة واحدة، ونظام واحد، وخدمة واحدة! كلاهما ولدان من أب واحد، هما اثنان في جسد واحد. حيث يكون الجسد واحداً، يكون الروح واحداً".

إن الكنيسة، باستقبالها كلمة الله وتأمّلها فيها، علّمت بأبّهة وما زالت تعلّم أن زواج المعمّدين هو أحد أسرار العهد الجديد السبعة. فإن الرجل والمرأة، بفضل المعمودية، يدرجان نهائياً في العهد الجديد الأبدي، عهد زواج المسيح مع الكنيسة. وبفضل ذلك الإدراج الذي لا ينحلّ، فإنّ الاتّحاد الحميم في الحياة والحب الزواجي، الذي أسّسه الخالق، قد رُفع وتبنّته محبة المسيح الزواجية ودعمته وأغنته قوّته الفدائية.

إن الزَّوجَين بحكم أسراريّة زواجهما، هما مرتبطان الواحد بالآخر برباط لا ينحلّ. وبما أنهما ينتمي الواحد إلى الآخر، فإنهما يمثّلان حقاً، بفضل العلامة الأسرارية، علاقة المسيح بكنيسته. فالزوجان هما، الواحد للآخر، ولأولادهما، شاهدان للخلاص الذي يجعلهما السرّ الكنسي مشتركين. فالزواج، ككل سرّ كنسي، هو تذكار وتأوين ونبوءة لحدث الخلاص.

إن الزواج، ككل من أسرار الكنيسة السبعة، هو أيضاً رمز حقيقي إلى حدث الخلاص، ولكن بطريقته الخاصة :" يشارك الزوجان فيه بصفتهما زوجين، حتى إن مفعول الزواج الأول والمباشر ليس هو النعمة الفائقة الطبيعة، بل الرباط الزَّوجِيّ المسيحي، الذي هو اتّحاد مسيحي بين اثنين، لأنهما يمثّلان سرّ تجسّد المسيح وسرّه العهدي. هذا وإن محتوى المشاركة في حياة المسيح هو خاص أيضاً: لأن الحب الزواجي يتضمّن كمالاً تدخل فيه جميع مركّبات الشخص– دعوة الجسد والغريزة، وقوة الشعور والتأثرية، وطموح الروح والإرادة– وهو يستهدف وحدة شخصية عميقة، تلك التي تتجاوز الاتّحاد إلى جسد واحد وتجرّ إلى أن لا يكون هناك إلاّ قلب واحد ونفس واحدة، وتفرض عدم الفسخ وتنفتح على الخصب. وبكلمة واحدة، يدور الكلام على ممّيزات عادية لكل حب زواجي طبيعي، ولكن بمعنى جديد لا يكتفي بتطهيرها وتقويتها، بل يرفعها حتى تصبح التعبير عن قيَم مسيحية خاصة".

تفكيرنا

إن النصوص التي جئنا بها تضعنا في وجهة نظر فائقة الطبيعة ومتأصّلة في الواقع البشري الذي نعيشه. وهي تذكّرنا بدرجات مسعانا، بقيادتنا إلى تقديس الحب بفضل السرّ الكنسي الذي نعيشه في زواجنا. إن لقاء جسدينا هو لقاء شخصين يحبّ الواحد الآخر، ونالوا من الخالق هبة القدرة على التعبير عن حبّهما في حميمية تتجدّد دائماً وتتوجه يوماً بعد يوم إلى حبّ الله اللانهائي وبه. إن اتّحاد الجسدين يصبح اتّحاد شخصين، ويصبح أيضاً، بنعمة السرّ الكنسي، مكاناً يمكن أن نصفه بأنه مقدّس، لأن حضور الله ونعمته تضفي عليه بعداً يتجاوز النظام الطبيعي.

<u>نص إثبات</u>

"إن التقاسم التام بين كائنين هو أمر مستحيل، وفي كل مرة يظنان أنّهما حقّقا مثل ذلك التقاسم، يدور الكلام في الواقع على اتفاق يحرم أحد الشريكين، أو كليهما، إمكانية النمو تماماً. ولكن، حين يعي الشريكان تلك المسافة اللانهائية التي تبقى دائماً بين كائنين بشريين، أيّاً كانا، فإن وجود" جنباً إلى جنب" رائعاً يصبح ممكناً: يجب على الشريكين أن يصبحا قادرين على محبّة تلك المسافة التي تفصل بينهما، التي بفضلها يرى كل منهما الآخر كاملاً ، مقصوصاً في السماء".

<u>العهد الجديد</u>:" أيها الأحبّاء، إذا كان الله قد أحبّنا هذا الحب، فعلينا نحن أن يحبّ بعضنا بعضاً. إن الله ما عاينه أحد قط. فإذا أحبّ بعضنا بعضاً، فالله فينا مقيم ومحبته فينا مكتملة... الله محبّة، فمن أقام في الله وأقام الله فيه".

(ا يو٤/١٢ و١٦)

أسئلة

للتحاور بين الزَّوجَين:

- هل قرأنا بانتباه نصوص سلطة الكنيسة المعلّمة؟ قراءة تدريجية يوصى بها في أوقات سلام... قد تكون مطلع واجب مجالسة.

- ❖ هل تلك النصوص تعطينا بُعداً أعمق لمعنى زواجنا العقلي، في مخطّط الله الخالق؟
- ❖ هل نرى معنى الهبة التامّة والوعد: لا نقطة ضعف؟
- ❖ كيف هذا التفكير يوطّد اتّحادنا، بإعطائه قاعدة فائقة الطبيعة في أجواء دينامية الأسرار الكنسية؟
- ❖ التفكير بالعمق في معنى سرّ الكنيسة الروحي والحاجة إلى الشهادة له. إعادة قراءة وثائق سلطة الكنيسة المعلّمة.

للتحاور في الفرقة:

- ❖ تحاور في الاكتشافات التي تمّت بين الزَّوجَين... المقارنة بين مختلف وجهات النظر والآفاق الجديدة التي عُرِضت.

نص للصلاة: (ا قور ٦/٥-١٥)

"لإخجالكم أقول لكم ذلك! أفليس فيكم حكيم واحد بوسعه أن يقضي بين إخوته؟ ولكنّ الأخ يقاضي أخاه، لا بل يقبل ذلك لدى غير المؤمنين! وفي كل حال، فإنه من الخسارة أن يكون بينكم دعاوٍ . فلِمَ لا تفضلون احتمال الظلم؟ ولِمَ لا تفضلون احتمال السلب؟ ولكن، انتم الذين يظلمون ويسلبون، لا بل تفعلون ذلك بإخوتكم!

أما تعلمون أن الفجّار لا يرثون ملكوت الله؟ فلا تضلّوا، فإنه لا الفاسقون ولا عبّاد الأوثان ولا الزناة ولا المخنّثون ولا اللوطيّون ولا السرّاقون ولا الجشعون ولا السكّيرون ولا الشتّامون ولا السالبون يرثون ملكوت الله. وعلى ذلك كنتم أو قلّما كان بعضكم فغُسلتم، بل قُدّستم، بل برّرتم باسم الرب يسوع المسيح وبروح إلهنا.

كل شيء يحلّ لي، ولكن ليس كل شيء ينفع. كل شيء يحلّ لي، ولكني لن ادع شيئاً يتسلّط عليّ. الطعام للبطن والبطن للطعام، والله سيبيد هذا وذاك. أمّا الجسد فليس للزنى، بل هو للربّ والربّ للجسد. وإن الله الذي أقام الرب سيقيمنا نحن أيضاً بقدرته. أما تعلمون أن أجسادكم هي أعضاء المسيح؟ أفآخذ أعضاء المسيح وأجعل منها أعضاء بغيّ ؟ معاذ الله!".

نصوص مرافقة

" ليقبّلني بقُبَل فمِهِ، فإن حبّك أطيب من الخمر.

أطيابك طيّبة الرائحة واسمك طيب مراق،

فلذلك أحبّتك العذارى.

إجذبني وراءك فنجري، قد أدخلني الملك أخاديره.

نبتهج بك ونفرح، ذاكرين حبّك أكثر من الخمر.

إنهم على صواب، إذ يحبّونك".

(نش ١/٢-٤)

السرّان الكنسيّان

لمناسبة المقابلة الثانية، من أصل المقابلات العامّة الثلاث التي منحها البابا يوحنا بولس الأول، تحدّث إلى المزوّجين حديثاً عن الزواج. نعرض هنا ما قاله في ١٩٧٨/٩/١٣: " [...] في القرن الأخير، كان في فرنسا أستاذ كبير يعلّم في السوربون ويدعى فريديريك أوزانام. كان فصيحاً وكريماً جداً. وكان صديقاً للاكوردير الذي كان يقول: "إنه كريم وحنون، حتى إنه سيصبح كاهناً وأسقفاً كبيراً". لا، فإنه لقي فتاة صالحة وتزوّجا. لكن لاكوردير لم يكن راضياً، فكان يقول: "أوزانام مسكين، فقد وقع في الفخ هو أيضاً". بعد ذلك بسنتين، لاكوردير أتى إلى رومة فقال له البابا بيوس التاسع: "تعالَ، أبت، تعالَ. سمعت دائماً أن يسوع أسّس سبعة أسرار كنسية. وها إنك الآن تأتي لتقول لي إنه أسّس ستة أسرار زائد فخ. لا، أبَتِ، ليس الزواج فخًّا ، بل هو سرّ كنسيّ كبير". ولذلك نوجّه أفضل تمنياتنا إلى أولئك المزوّجين حديثاً. ليباركهم الربّ [...]".

نظرة مختلفة إلى الإنسان

إن الإله الوحيد ليس منعزلاً. ما أكثر السخافات التي قيلت عن الثالوث، حين حاول بعضهم أن يدلّوا على أن الثالوث هو، في آن واحد، شيء لا يُدرك وغير متناقض!

في نظر الاختبار التصوّفي، ما من شيء أبسط. يعني الثالوث أن الله ليس أحداً ينظر إلى نفسه ويدور حول نفسه، ويلتذّ بنفسه، بل هو، على عكس ذلك، احد يهب نفسه. وهذا يعني أن الله ليس منعزلاً، ولا يواجه وجهاً يتردّد معه في نرجسيّة رهيبة.

في الثالوث، فإن الآب يواجه الابن، وإن الابن يواجه الآب في قبلة الروح القدس. وهذا يعني أن الله هو مشاركة، وتنفّس حبّ، وتجرّد، وطفولة أزلية، وولادة لا تنضب، وتجدّد لا ينقطع عن البروز، وأخيراً فقد لا يجاوَز، كما كشفه فرنسيس.

استرداد الحضور الإلهي لئلاّ نسلَم إلى غرائزنا البدائية. لا شك أن الأزمة الأخلاقية الحالية لن تُغلب إلاّ بقدر ما نعود فنجد الإله الحقيقي في أعماق قلوبنا، حيث نعود فنجد معنى حضوره في صميمنا بصفته مقتضى خلاّق ، بصفته مقتضى عظمة وحرّية وشمولية.

ليست الأخلاقية كابحة، بل هي الوسيلة الوحيدة لنُتِمَّ دعوتنا كآلهة، الوسيلة التي توصلنا إلى أن نكون آلهة.

في غياب الله، يُفلت جسدنا منّا كشيء، كغرض مسلّم إلى الالتماسات العمياء. عقلنا يختلّ في غموض ألعابه وطرائفه المُفسدة، واحتكاكاتنا بالآخرين تبتعد مسافاتها وتتكسر لأنّنا لم نعد في محيط النور والحبّ، حيث يُثبت الكائن نفسه في كمال تقدمته في محيط النور والحب "يوجد" الكائن كانخطاف وكاندفاع نحو الآخر، كهبة تردّ على الهبة الأبدية أن الله هو.